روايات عبير الجديدة

چيسيكا ستيل

لعبة القدر

www.elromancia.com

مرمورية

دار الكتاب العربي
دمشق القاهرة

٢٥٢

لعبة القدر

بقلم

جيسيكا ستيل

www.elromancia.com

- إنها حقا لمقدرة أن تكبح زمام عواطفك و لا تقع في حب كل رجل تقابله في البيرو .

- هكذا وجدت بيلز نفسها محاصره برجال البيرو المؤثرين فقاومت ، و لكن أمام < كوين > لم تصمد و إنهارت مقاومتها و خاصة وقد أصبحت تراه بحكم أنه صديق زوج أختها و قد أوصاه ليكون مرشداً لها و دليلها في هذه الأرض الغريبـــه

- ولا تستطيع أن تعامله بجفاء و هو في غاية الرقه ..... فقد عزمت ألا تقع في الفخ ! سيكون هذا شرك ؟

إنه الموعد مع القدر

- ١ -

لعبة القدر

بقلم

« جيسكا ستيل »

www.elmanaraa.com

لم تكن الآنسة بليس لتتصور يوماً أنه من المعقول لها أن تأتى إلى « البيرو » وأن تكون الآن حقاً بين أحضانه ..

لقد وصلت إلى « ليما » العاصمة ، نهار البارحة ولا يزال حماسها متقداً كما كان عليه منذ البداية .

هرعت حال وصولها لذاك الفندق الأنيق لتأخذ حماماً دافئاً ، ثم استعدت لتناول العشاء في بهوه الواسع .. وجالت بتفكيرها تبحث عن الكلمات المناسبة لتشكر أختها « ايريث » وزوجها « دوم » اللذين كانا وراء زيارتها لهذا البلد ، والتى كان من المستحيل أن يتحقق قدومها إليه لولا مساعدتهما .. ووجدت نفسها وقد شردت قليلاً .. كيف لها أن تتصل بأختها هاتفياً لتنقل لها نبأ وجودها هنا في البيرو .. وسرعان

ماتخلت عما يجول بخاطرها ، إدراكاً منها بأن أختها « إيريث » ، والتي لم ينقض على زواجها من ذاك البيرو في أكثر من شهرين ، لابد أن يكونا في شهر العسل ، ثم تذكرت بالتالي كيف أن « إيريث » وزوجها « دوم » كانا قد خططا للذهاب معاً في رحلة بحرية في واحد من أولئك اليخوت البحرية الثرية التي كان « دوم » قد صممه وبناه ..

ولم تعترها الدهشة وهي تسمع أختها مفتونة تتملكها النشوة والبهجة في بيت زوجها في « جهارا » إحدى مدن البيرو الجميلة ، الصغيرة ، حينما عادت لتحاكي نفسها أنه لابد لهم من العودة الآن إلى بلدتهم وإلى مزرعته الرئيسية ، ولابد من أن هذه الفكرة ستدفع بكليهما للعودة من رحلتهما البحرية تلك وليقررا متابعة شهر العسل فى المكان الذى يحبانه .

وانطلقت عينا بليس تخترقان جدار الماضي ، وعادت بها مخيلتها إلى مايقارب أربعة أشهر خلت .. حينما كانت مع أبيها وزوجته ، تتعافى من إصابة حادة جداً من التهاب ذات الرئة ، الذي ألم بها . وقد كانت إيريث حينذاك قد ذهبت إلى البيرو لتتعرف على ماحدث لأختها من أبيها « أودرا » ، اعتقادا منها ــ آنذاك ــ أن الرحلة إلى البيرو ضرورة ملحة حيث ان زوجة والدهم لم تكن قد استلمت من ابنتها « أودرا » إلا رسالة واحدة مفعمة بالقلق والضيق طيلة الستة أشهر الماضية من إقامتها هناك ..

وعملت بليس جاهدة لتذهب إلى البيرو ، حينما سنحت لها تلك الفرصة ، لولعها بعلم الآثار وإدراكاً منها بأن تلك البلد لابد وأنها مشهورة بها إلى حد كبير .

ولكن لسبب ضعف جسمها ، وهي التي لم تكن قد شفيت تماما من إصابتها بذاك المرض ، فقد قررت أن من واجب أحد أفراد العائلة الذهاب للبحث عن أختها من أبيها « أودرا » ، لكن « إيريث » أجابتها بلباقة ورقة بأن الأمر لايناسبها ولم يهيأوا لذهابها ، بغض النظر عن تصورها بأن بليس كانت دون المستوى المناسب لتلك المغامرة ، وظناً منها بأنها ربما تكون قد استحوذت عليها تلك الفكرة لتقوم بالتجوال في المكان الذى كان الأنكا قد وطأوه .

وحاولت بليس الاعتراض بكل ما أوتيت من قوة في حين غدت عيناها الخضراوان الجميلتان ترجوانها دون إدراك منها للذهاب ، لكن إيريث ذات الجمال الأخاذ والعينين الخضراوين كذلك بالاضافة إلى الشعر الجميل ، كانت تشارك أختها الملامح الرائعة نفسها علاوة على لهجتها الدافئة المليئة بالحب والحنان ، والتفتت إلى أختها مجيبة بأسف ، « كلا ياحبيبتى ، سوف لن تجد الراحة دقيقة واحدة إن ذهبت ».. عند ذلك استقرتا على وجوب ذهاب إيريث إلى البيرو ؛ وأن على بليس أن تعرف بأنه من الأصلح لها ، ولأكثر من سبب ، أن تبقى لتستعيد فترة نقاهتها راقدة في السرير ولايترجاع كامل قواها ..

وغدت بليس بحالة أفضل بكثير مما كانت عليه حينما كان على إيريث الذهاب إلى هناك ، وإنها بالفعل بدأت باستعادة أنفاسها ، حينما تلقوا بعد أيام رسالة من إيريث مفادها بأن الأمور تسير على مايرام مع أودرا وليس هنا من سوء .. وبعد مضى وقت قصير تلقوا مكالمة هاتفية مثيرة أخرى تضيف فيها بأن أودرا ستكون في طريقها إلى البيت ، وبلهجتها الرقيقة وصوتها العذب قالت أنها ستكون في طريقها إلى البيت

في اليوم التالي وهي برفقة أحد الرجال المتميزين بشكل يفوق الوصف ..

وبدأت الاستعدادات لحضور أوبرا تملأ البيت بهجة وسروراً ، ومن ثم وصول إيريث مع ذاك الرجل الوسيم الأنيق الذي كانت قد وقعت في حبه ، والذي كان يدعى « دومنيتو دوسارموزا » واختصاراً « دوم » .. وأدرك الجميع منذ أول وهلة أنهما لايفترقان لحظة وأن الحب يغمرهما .. وعمدت إيريث ودوم على دعوة الجميع لزيارة البيرو ، وأنهما سيتزوجان دون تأخير منهما في بلدة دوم والمدعوة (جهارا) .

وبسبب ضعف زوجة والدهما وعدم قدرتها على السفر ، وكذا إصرار دوم على الزواج من إيريث بأسرع وقت ممكن ، فقد تزوج الاثنان بعد ثلاثة أسابيع في كنيسة قريتهم الصغيرة في آش يارتون .

وفيما كانت إيريث تحث بليس على القدوم لزيارتهم تعانقت الاثنتان عناق الأختين المتحابتين العزيزتين ، وقبل أن تغادر الأخت الكبرى بعيداً ، همت بها الصغرى « حاولي منعي من القدوم » ثم صرخت بليس ضاحكة ولم يكن يدور في خلدها بأن هذا سيحدث حقاً قريباً ، ولم تكن لتعرف بأنها ستكون يوماً في جهارا ..

وفكرت بليس فيما كانت تصحو من حلم اليقظة ذاك ، لتدرك بأنها قد استحمت وارتدت ملابسها الأنيقة الناعمة .. وظهرت ابتسامة حلوة على فمها العذب حينما جالت بتفكيرها فيما كان قد حدث منذ اسبوعين ، وهي تحتفل بعيد ميلادها الثاني والعشرين ، وكيف تلقت تلك الهدية التي كانت تذكرة مفتوحة لرحلة بالطائرة عن

طريق أقرب مطار للوصول إلى جهارا .. وكيف أخبرها دوم وإيريث في رسالتهما المرفقة بالتذكرة أن عليها أن تقضي ليلة في أحد فنادق « ليما » العاصمة ، قبل متابعة رحلتها إليهما خوفاً من إصابتها بالإرهاق والتعب ، بسبب ضعف جسمها من تلك الإصابة الأخيرة ، وقد أرفقا مبلغاً كافياً ضمن الرسالة لتلك الإقامة ، كما ذكرا لها اسم الفندق ، والذي لابد أنه أحد الفنادق الضخمة الأنيقة للإقامة ، كما قالت بليس في نفسها ، إذا كان عليها أن تنفق كامل ذاك المبلغ للإقامة فيه لليلة واحدة .

وفيما كانت بطاقة الطائرة غير محددة التاريخ ، فقد ترك لها استعمالها وقتما تشاء .. وما كانت تلك البطاقة لتعنى أنهما يرغبان في مجيئها ، ولتكون بينهما في الوقت الذى تختاره .

ومن سوء الطالع أن بليس عادت إلى عملها آنذاك في مكتبة تلك القرية الصغيرة ، والتي لم تستطع طيلة عملها هناك أن تخرج ولو مرة واحدة للتنقيب عن الآثار التي كانت هوايتها المولعة بها ، أو أن تقوم بأي عمل يستحق ذلك ، ورغم إصابتها بالبرد فقد حاولت متابعة عملها بالرغم من معارضة أبيها وزوجته ، لأنه لابد لها من الاستمرار فيه ، ووجدت نفسها على حافة الإنهيار تماماً حينما لاحظ رئيسها في العمل ذلك ، وأنها على وشك الوقوع ، فعمل على نقلها للبيت بسرعة .. وفيما كان يحاول مساعدتها لادخالها إليه ، طلب منها الخلود إلى الراحة التامة وألا تعود للعمل حتى تكون في أتم صحة وعافية . ومضت الأيام حتى عادت ثانية إلى كامل نشاطها وحيويتها في صبيحة

www.elromancia.com

عيد ميلادها .. ولكن الكسل إعتراها حينما تذكرت بانها كانت قد طلبت من صديقها « ند جون » أن يقوما معاً بنزهة في السيارة ، لكنها لاتزال تشعر بأنه مجرد صديق ، لا أكثر ولا أقل . وليس هو الشاب الذي يمكن لها أن تحبه .. ثم تذكرت كيف بدأ « ند » في إظهار بوادر حبه وشغفه بها بشكل جدي ..

وبدت الأمور تلك الليلة تتقدم بسرعة حينما عاد بها « ند » من تلك النزهة ، محاولاً أن يمطرها بوابل من القبلات ولكنها صرخت في وجهه قائلة : « بحق السماء يا« ند » كُفّ عن هذا الهراء ، إدراكاً منها بأنها لاتشاركه احساسه وأنه يعمل على مضايقتها بتلك التصرفات .. ثم شكرته بلباقة على تلك النزهة وهرعت تركض إلى البيت ..

أمضت بليس ليلتها قلقة مضطربة وهي تفكر أنه ليس من السهل التخلص من « ند » لفترة طويلة ، وهو الذي مافتىء يأتي لزيارتها بالبيت كلما سنحت له الفرصة حتى دون دعوة منهم .. وسرعان ماتوقفت عن شعورها بالضيق إدراكاً منها في قرارة نفسها بأن من حق الصداقة بينهما ألا تعمد إلى إيذائه ، وقد بدا دائماً صديقاً ممتازاً مخلصاً خاصة أثناء مرضها ، لهذا سيكون من الاجحاف بحقه أن تشعر بالانزعاج منه ، بالرغم من تخطيه لحدود الصداقة بينهما حينما حاول تقبيلها تلك الليلة .. لكن لابد من إخباره أنها لن تراه ثانية .. نعم ، لقد عزمت بليس على السفر بعيداً ولن تهتم بعدها لوجودها هنا في بلدتها .. وبدأت الاثارة تطغى عليها حينما تذكرت بطاقة السفر التي استلمتها من أختها وزوجها للسفر إلى البيرو .. ومضت دقائق عدة

وهي مطرقة تفكر بهذا الأمر وأن قرارها لابد أن ينفذ . ومن المؤكد ، لدى تفكيرها بزوج أختها وأختها اللذين لايزالا يمضيان شهر العسل . فمن غير المعقول التطفل عليهما الآن ، ولابد من زيارتهما بالتأكيد في وقت ما ولكن ليس في هذا الوقت ، وإلا لكان الأمر منتهى الوقاحة ، رغم افتقادها لإيريث حقاً ورغبتها وشوقها لرؤيتها .

وأمضت بليس الليل قلقة لا يغمض لها جفن وهي تحاول أن تخرج من مأزق تفكيرها .. كان عليها أولاً أن تهتم بأمر وظيفتها من الناحية الرسمية مع الدكتور « لوتون » وإلحاحه كي تعود الى عملها الآن ، وإن لم يكن هذا الأسبوع بسبب إجازتها المرضية ، فليكن الأمر في الأسبوع القادم لأنها ستكون على أحسن مايرام .

لكن مادام رئيسها مصراً على ألا تعود للعمل في المكتبة حتى تكون فى حالة صحية ممتازة وليس هناك ماتشكو منه البتة فلن يضره إذاً إذا عملت للذهاب إلى البيرو لفترة أسابيع ثلاثة ، وهي التي لم تغادر طيلة فترة عملها واستراحتها إلى أي مكان مدركة بالتالي أن السيد « يرانهام » سيتمنى لها أجمل أمنياته في رحلتها تلك .

وكان تأمين المال الكافي لمغادرتها في رحلتها هو المشكلة الثانية من أجل إقامتها في الفنادق وما إلى ذلك .. لكنها استطاعت بسرعة التنبؤ بأنه لن يصادفها شيء من هذا القبيل لأن والدها وزوجته قد زوداها بشيك بمناسبة عيد ميلادها يؤمن لها مبلغاً كافياً ، بالإضافة إلى مرضها الذي جعلها تدخر راتبها خلال الأشهر الثلاثة أو الأربعة الأخيرة والتي لم تنفق منها إلا النذر القليل ، كذلك كان هناك بعض من مدخراتها التي أنفقت معظمها على ايريث قبل أن تذهب إلى البيرو باحثة عن

« أودرا » .. وارتسمت على وجهها ابتسامة رقيقة في الحال حينما تذكرت كيف أبدى زوج اختها رغبته ، نظراً لكرمهم في ايجاد المال الكافي لإرسال محبوبته إريث إليه ، في أن يعيد دفع كامل النقود والتي قدموها لإريث ثانية إليهم .. وقد بدا من الواضح أن دوم كان ثرياً للغاية ، كما أراد أن يجعل الأمور المالية سهلة المنال بالنسبة اليهم فيما كان يتكلم مع والدها في نقاش شخصي ، وعمدت بالتالي ايريث على إعلامها بأن دوم يعمل على أن يجعل لها حصته من المال .

كلا ، لست بحاجة إلى المال ، أجابت بليس ، لكن دوم أصر أن تستفيدي بالمال الذي ادخرته في الصندوق ظناً منه بأن أي شيء سيكون ذا فائدة يوماً . لقد قلت لدوم انك ستقولين ذلك ، وضحكت ايريث وبطريقة المحبة التي تغمرها السعادة اندفعت تعانق أختها عناق الأختين الحميمتين .

ولم يدر في خاطر بليس كيف لها أن تواجه أباها وزوجته في قرارها للذهاب إلى البيرو حالما تكون قد أعدت للأمر عدته .. وسرعان ما أخبرتهما باستعدادها لتلك الرحلة أثناء تناولهم طعام الأفطار حينما أدركت أن أمورها المالية متوافرة بشكل كاف .. وتضايقت بعض الشيء لجواب زوجة والدها قائلة : هل أنت بوضع صحي يؤهلك القيام بتلك الرحلة ؟

« إنني في أفضل حال الآن » .. مؤكدة جوابها بابتسامة تعلو محياها لتزيد إشراقة وجهها .. ثم أردفت الزوجة تقول : « حاولي أن تُعلمي إيريث بتاريخ وصولك ؟ « سوف أعمل هذا بالتأكيد ، أجابت بليس » ..

وهنا تدخل الأب لأنه كان يعرف أن بليس لن تقوم بهذا ، ومن أجل ألا تجد الوسائل المناسبة لتكذب عليه .. وعادت بليس لتقول ؛ سأعلمها حالما اتأكد من وقت الرحلة ؟

وما أن مضى أسبوعان اثنان حتى كانت بليس قد غادرت الشواطىء الانجليزية في طريقها إلى البيرو .

وهاهي الآن بين كنفه .. وأشرق محياها وهي ترتدي ذاك اللباس الأخضر الحريري الأنيق الذي يعكس جمال عينيها وشعرها الخمري البراق الذي زاد من حسنها وإشراقتها .. ونزلت إلى مطعم الفندق .. وسرعان مالمحها النادل تدخل غرفة الطعام بابتسامتها الساحرة تلك ، فاقترب منها قائلاً : مساء الخير سنيوريتا ، أين ترغبين في الجلوس ؟ ..

قال هذا وعيناه تكاد لاتفارقانها وقد أخذه الذهول لجمالها، وحاول اخفاء مشاعره حسب مقتضيات المهنة ، فأجابته :

في نفس المكان الذي جلست فيه مساء البارحة ؛ وفيما كانت تشير اليه ، وجدته يقودها ، ليمسك لها المقعد وينتظر حتى جلست ، وشكرته بليس مبتسمة وهي تتناول قائمة الطعام التي قدمها لها .. وفيما كانت تتفحصها ، سمعت صوتاً يقول مساء الخير سنيورا .. فالتفتت لترى من القادم فإذا بالسنيور « فيديلا » يقف إلى جانبها .

مساء سعيد .. أجابته بسرعة وبجرأة ، وهي التي كانت قد أمضت معه ومع زوجته الرائعة حديثاً طويلاً لعدة ساعات مساء ليلة البارحة في ردهة الفندق .. وفيما كانت البسمة تعلو وجهها للسنيور « فيديلا » ، وهو الشاب الوسيم الذي كان في العشرينات من عمره ، اقترب منهما رجل أكثر طولاً وهيبة في العقد الثالث من العمر تقريباً ،

وقد مشى إلى غرفة الطعام ، ودون أن يطلب من النادل المساعدة عمل على ايجاد مكان فارغ جلس فيه ، وقد كان إلى حد ما قرب مقعد بليس ، التي سرعان ماتبين لها أن في ملامحه الكثير من صفات الارستقراطية المتعجرفة والسلطة ؛ وطلب منها فيديلا أن يشاركها الجلوس إلى طاولتها .. ولعل سؤاله جعلها تضحك بابتسامة عريضة ، قائلة : « بالطبع فأنا لا أمانع أبداً ، وهي ماتزال تنظر إلى ذاك المتكبر ذى الشعر الرمادى الداكن الذي كان يشمخ بأنفة وكبرياء وهو يمر جانبها .

وفيما كانت مثبتة النظرات على تلك العينين الباردتين اللتين لم تر مثيلاً لهما البتة تلاشت ابتسامتها ببطء في اللحظة التالية حينما تابع الرجل ذو التعابير المتكبرة خذاة وهو يرقمها بنظرته تلك وأخذ «فيديلا» كرسيه إلى جانبها ، فيما كانت بليس تدرك ماوراء تلك النظرة المتعجرفة المشمئزة المرسومة على وجه ذاك الرجل ، ومهما كانت جنسية ذى العينين الرماديتين الداكنتين فلابد أنه يعرف الانجليزية ، وأنه حينما سمع السنيور « فيديلا » يطلب الجلوس إلى جوارها ، ظناً منه ، وبما أنه لم يرها في الليلة الماضية بصحبة « فيديلا » وزوجته ، فلابد لها من أن تكون فتاة إستطاع « فيديلا » اصطيادها ، وهذا بالتأكيد واضح حق الوضوح من ابتسامتها وإجابتها لصديقها .. « بالطبع يمكنك الجلوس » .. ولابد أنها فتاة عزيزة جديرة بالمتعة والتسلية ..

ولقد حدا بها تفكيرها لبرهة أن تذهب إلى ذاك المتكبر وتسأله عن سبب نظراته الحقيرة تجاهها .. لكن سرعان ماابتعد ليجلس في ركن

آخر . لذلك غيرت رأيها كي لا تنحدر في تصرفها إلى تلك الزاوية وامتنعت عن الذهاب إليه ، وعوضاً عن هذا بدأت بسؤال « فيديلا » عن ابنه « مانكو » البالغ من العمر ثلاث سنوات ، والذي لم يكن بصحبتهم كذلك ليلة البارحة لأنه كان يتعافى من عملية جراحية أجريت له تتعلق ببعض المشاكل في أذنيه .. وهنا أجابها فيديلا :

إنه يتحسن بشكل ملموس ، ولكنه يبكى كثيراً هذا اليوم .. أسفة جداً ياعزيزي .. حاولت بليس هنا أن تواسيه .. وصمت فيديلا ثانية ثم استأنف حديثه قائلاً :

إن الولد يرغب في العودة إلى البيت ، وبسبب عدم استطاعته ذلك فهو يسبب ألماً كبيراً لأمه ولهذا لم تستطع القدوم معي هذه الليلة كي تكون بيننا في المطعم .. لابد أنها تبكى بحرارة ؟ « قالت بليس » ..

إنها ــ امرأة شجاعة حقاً ؛ أجابها فيديلا قائلاً لكن الولد يملىء قلبها حزناً وألماً وقد بقيت جانبه إلى أن غلبها النعاس ونامت منذ الساعة والنصف وهي لاتزال تذرف الدموع عليه ..

وغلبت تفكيرها قصة ذاك الطفل الذي حرم والدته من رفقة أبيه ولكنها حاولت تناسي الأمر .. وتابع الاثنان حديثهما بحبور وسعادة أثناء تناولهما العشاء وعملا على أن يغادراه في آن واحد .

لقد كانت بليس في منتهى السعادة لرفقة فيديلا . وهما يتناولان الطعام وفيما كانت ابتسامتها لاتزال مرسومة على شفتيها جالت بعينيها لتتناول حقيبة يدها حتى وجدت أن ابتسامتها قد تلاشت رغماً عنها حينما وقع نظرها على ذاك الشخص الذي كان ينظر إليها بازدراء .

ولازالت تعابير وجهه لم تتغير بعد ، ظناً منها أنه لابد لفكرته التي راودته عنها سابقاً ، أن تكون صحيحة وأنها حتماً ستغادر المكان بصحبة فيديلا لإغوائه كإحدى بنات الهوى .. حسناً .. قالت بليس .. دعه يظن كما يشاء وقد أخذ منها الضيق والانزعاج ماطغى على بهجتها وسرورها السابق ، ومدركة أن السنيور فيديلا كان ينتظرها بكل احترام .

تناولت بليس حقيبة يدها وخرجا معاً ..

وعند المصعد ، تمنت لصديقها أمسية سعيدة وصعدت الى غرفتها ..

وسرعان مانسيت السنيور فيديلا ، لأن تفكيرها كان مركزا في الأصل على ماستفعله غداً ، وغاب بالتالي عن مخيلتها ذاك الفيض المزعج من الضيق الذي أرقها برؤية ذاك الرجل الذي كان في المطعم والذي بدا واضحاً أنه يسيء التفكير وينظر إلى المرأة باحتقار . ولربما بتصرفها السريع ذاك مع السنيور فيديلا بدر منه مايدر .

واستيقظت بليس في صباح اليوم التالي وهي عاقدة العزم أولاً على زيارة الكنوز الدفينة للمقابر الملكية القديمة العهد (موشيكا) والمنتشرة على بعد أربعمائة ميل من ليما العاصمة والتي يضاهي غناها بالذهب مقابر توت عنخ آمون في مصر ..

واستقلت الطائرة في رحلة قصيرة اليها ولشد ما كان استياؤها حينما علمت أن هناك عدداً لايستهان به من تلك القطع الذهبية التي كانت موجودة هناك قد نقلت إلى ألمانيا من أجل الحفظ ..

وما أن عمدت على تبديل طائرتها لتستقل عربة تنقلها عبر الطرق الوعرة إلى موقع موشيكا الأثري حتى فكرت ملياً بأنه إذا كانت المعلومات صحيحة ، فلابد أن تكون هناك بقايا كثيرة يمكن مشاهدتها .

وعملت بليس على التجوال ساعات طوال عند تلك المعالم الأثرية الخالدة وهي تجد المتعة والنشوة فيما تشاهده إلى أبعد الحدود ، كما كان كل من التقت بهم يمدون لها يد المساعدة إلى أقصى الحدود ، حتى كانت على وشك أن تنسى رحلتها للعودة إلى ليما والتي وصلتها بعدئذ بعيون وقلب مفعم بالغبطة والفرح .

وما أن أخلدت إلى الراحة قليلاً بعد الاستحمام حتى هرعت بلباسها الأحمر الأنيق ، الذي كان ينساب على جنباتها كالنسيم العليل مع شعرها المتهادل على أكتافها ، لتناول العشاء .

وأحست بأنها مثقلة بالأفكار ولابد من أن تكلم أحدا ما . ولابد كذلك من أن يكون الوقت غداء كي تستطيع التكلم عن اكتشاف عالم الآثار البيروني وولتر ألفا وعن المكان المدفون فيه القسيس المحارب ..

لكن يبدو أنه مامن أحد هنا ، ولم يكن فيديلا موجوداً ، ولا حتى هو ، ذو العينين الرماديتين لكن لا ، فكل شيء يمنعني من الرغبة كي لا أتحدث إليه .

وتوقفت بليس هنا عن ذاك الاحساس الكريه الذي جال في خاطرها .. ولتحاول الاتصال بأختها . وتناولت الطعام بمفردها ظناً منها أن عائلة فيديلا لابد أنهم قد غادروا الفندق ولربما ، ومن باب حسن الحظ ، أن يكون ذاك الرجل المتعجرف قد غادره كذلك .

www.elromancia.com

لكن الدليل على عدم مغادرة عائلة فيديلا قد ظهر في الحال وهي تراهم يدخلون مع أول مجموعة أشخاص ممن كانوا خارج الفندق ، وسرعان ماشعرت بالفرح يغمرها وهي تقول حينما قابلوها :

مساءً سعيداً .

لابد أن « مانكو » سيغادر المستشفى ؟ نعم سيغادرها غداً وسوف نعمل على الذهاب للبيت ، « قال فيديلا وهو في غاية السرور » .. لماذا ؟ ثم أدركت ماتقول :

يا له من أمر جيد أن تكونوا جميعاً هناك ..

وما أن أمضت بعض الوقت في الحديث معهم حتى تمنت لهم كل راحة وسرور وهي تحاول أن تودعهم ، فيما كانت السنيوره فيديلا يتمنى في قسم الهدايا عن هدية لابنها ، وهنا سألها فيديلا عن الموقع الذي زارته ذاك اليوم ورأيها حوله .

لقد استمتعت حقاً بذاك الموقع بالطبع « أجابت بليس » بحماس وانفعال .. ولكن سرعان مالاحظت عيناها تلك العيون الجليدية وكأنه انتقى تلك اللحظة ، ولكونها منفردة مع فيديلا تتحدث ضاحكة مبتهجة ، ليسير بعيداً . وتلاقت عيونهما ، وكل منهما يحاول اختراق جدار تلك النظرات ومايجول خلالها . وعادت زوجة فيديلا محملة بالهدايا لابنها فرحة مستبشرة ..

وتناست بليس تلك النظرات وحاولت أن تمضي يوماً رائعاً آخر .

وفي اليوم التالي كان عليها زيارة أحد المواقع القريبة .. لذا عمدت على أن تستقل سيارة أجرة للوصول إليه .. وزارت فيه مكاناً كان قد

اكتشف حديثاً يدعى « اي باريزو » والذي يعود إلى الالف الثاني قبل الميلاد ، ومن عهد ماقبل السيراميك ، والذي مازال الخبراء في جدال ونقاش حوله لكونه مجرد معبد أو صرح أثري محلي .

وعادت أدراجها وهي تفكر بذاك المَعْلم الذي لم يستطع الخبراء معرفة سره بعد وكيف لها أن تكوّن رأياً حوله .. وتذكرت عائلة فيديلا وهي تنزل من غرفتها لبهو الفندق لتناول طعامها .

يالصحبتهم الممتعة حقاً .. ثم راودتها فكرة رؤية ذاك الرجل آه .. لو أنها لاتراه ثانية ، وحاولت تناسيه شعوراً منها بالجوع ، وأسرعت لتتناول مايمكنها تناوله .

وغادرت بهو المطعم وهي تصر على الاتصال بأختها ، ودخلت احدى الحوانيت التي تبيع بطاقات مصورة ، لتختار بعضاً منها لإرسالها إلى عائلتها ، ثم اتجهت إلى المصعد .. وفيما كانت تتأمل تلك الصور ، إذا بها تصطدم بأحدهم .. يبدو أنه يعرف أنها تجهل اللغة البيروفية ، وقبل أن تفتح فمها ، طرق مسمعها صوت يقول : لماذا بحق الجحيم لاتنظري أمامك ؟ وأنت تسيرين ؟

وبسرعة البرق ، وقبل أن تستعيد أنفاسها واتزانها حتى إدراكها ، راودها احساس أنه لابد أن يكون صوته ، ونظرت إلى أعلى ، والتقت عيناها مع نظرات العيون الرمادية الجليدية .. « لماذا لا تتعلم بعض التصرفات اللائقة المهذبة ؟ » .. صرخت بليس بحرارة دون الاهتمام بما إذا كانت في قولها هذا تقف منه موقف الند ، ولكنه وهو بذاك الجسد القوى وهي بجسدها الرقيق الناعم لن تستطيع التغلب عليه ،

www.elromancia.com

وانسحبت يملؤها الغضب والضيق وأسرعت ناحية المصعد ، لكنه وقف لانتظاره كذلك ، فعمدت على الابتعاد لتصعد درجات السلم وهي تفكر لماذا عليها أن تقابل هذا الشخص المتعجرف في حين أنها تقابل أناساً ظرفاء من البيروفيين في كل مكان .

المقطع الثاني

وما أن استعادت بليس نشاطها ثانية في اليوم التالي حتى تبين لها أن هناك الكثير من المتاحف الغنية كالكنائس التاريخية والبيوتات القديمة والمتوافرة هنا وهناك في ليما ..

لذلك استعدت للخروج باكراً كي لايفوتها مشاهدة أي منها .

كانت السماء ملبدة بالغيوم وإزدادت تلبداً مع تقدم صبيحة هذا اليوم ، لذلك عمدت على ارتداء بنطال رمادي جميل وسترة مناسبة ونزلت مسرعة لتناول الفطور .. ولم يدهشها رؤية البهو فارغاً إلا من شخص واحد جلس بمفرده يتناول طعامه .. لماذا لابد لهذا الشخص إلا أن يكون هو ؟ وتظاهر بأنه لم يرها .. وما أدركته حينها ، أنه ألقى نظرة باتجاهها ، لكنها تظاهرت بعدم وجوده .. والغريب في الأمر ، وبالرغم من جلوسها وظهرها إليه ، فقد وجدت نفسها تستعيد التفكير في كل شيء عنه ، تسريحة شعرة الداكن الأنيقة ، وحلاقة ذقنه الرائعة ، وتلك الملابس التي كانت بمنتهى الذوق الرفيع ، أو ذاك القميص الذي كان أكثر بياضاً من الثلج .. ولم يفتها تذكر محفظته التي وضعها على كرسي جانبه .. وحاولت ، ورغما عنها أن تلقى بهذه الخواطر جانباً حيما رأت نادل البهو يقترب منها .

www.elromancia.com

أتمسك العذر سنيورا ؟ لم أشاهدك تنزلين .. وشعرت بسعادة تغمرها وهو يسمع جوابها والابتسامة على محياها قائلة :

لا تكترث لهذا الأمر ؛

وتناولت بليس وجبة دسمة علماً منها بانشغالها طيلة اليوم ولربما لن يتوافر لها تناول طعام آخر حتى المساء .. وما أن همت بتناول البيض مع شريحة اللحم حتى رأته يتناول محفظته ليمضي ماراً بطاولتها .. ياله من يوم رهيب نكد .. وعجبت لماذا مثل هذا الرجل ، الذي لم تعرف عنه أي شيء ، يمكن أن يكون له مثل هذا الأثر اللاذع أو العنيف على مشاعرها . في الوقت الذي هي منه في منتهى السعادة والغبطة ؟! .. وحاولت التغلب على مايراودها من صراع فكري مصممة على أن يكون هذا اليوم رائعاً حقاً كسابقه ، وهي تتناول كوباً من القهوة ..

ومادام المتحف الذي ترغب بزيارته لن يفتح أبوابه قبل التاسعة ، فيمكنها زيارة كنيسة « لاميرسيد » القديمة والتي أنشئت عام ١٥٣٤ حتى قبل أن تظهر ليما إلى الوجود ..

وأمضت بليس يوماً كاملاً لم يخل من التعب متجولة هنا وهناك وعادت إلى الفندق ثانية حوالي الخامسة وقد تمتعت بناظريها وأفكارها بما شاهدته من متاحف غنية رائعة .. وفيما كانت تهم بدخول المصعد وهي منشرحة الأسارير ، شعرت بخطى تقترب معلنة قدوم زائر آخر إليه .. وما أن فتح بابه حتى كانت بليس وذاك الزائر وحدهما داخل ذاك المصعد .

ولعنت بليس سوء حظها الذي جمعها به ولأنه كان محتماً عليها مشاهدته كيفما التعنت داخل ذاك المصعد .

وهنا سألها ببساطة قبل أن يضغط على الزر قائلا : أي رقم طابق ترغبين الصعود إليه ؟ ..

وحاول أن يمد يده ليضغط أحد الأزرار وليقتصر الوقت الذي كانا فيه لوحدهما داخله .. لكنها وهي في أوج فورانها وانفعالها ، حاولت تجاهله ودفعت بيدها لتضغط على زر المصعد الذي تطلبه .. « ياللتصرفات !» .. وطأطأ بوجهه ناحيتها ، وماكان على بليس هنا إلا أن تقف هناك ولتقبل الوضع الذي أرغمت على تحمله كما كان الحال تلك الليلة والتي حكمت عليه حينذاك بسوء التصرف .. ربما كان محقاً في أن يرد ذاك الاتهام ثانية إليها .

ووقف المصعد .. وخرجت بليس وخرج معها .. وسارت هي في اتجاه ، وهو في الاتجاه الآخر ، وشكرت الاله على أنه فندق واسع حين غاب عن ناظرها .

دخلت إلى غرفتها ورمت بحافظتها جانبا ، وقد تملكها شعور جميل متعب ، وكانت على وشك أن ترفع ساعتها من يدها كبداية لدخولها لأخذ حمام دافىء ، حينما رن جرس الهاتف ..

التقطت السماعة ، وبسرعة ودون دهشة سمعت صوت أختها يكلمها : أظنك كنت على وشك الاتصال بي ؟ أليس كذلك ، تقولها ساخرة حانقة كم هو جميل منك ياحبيبتي أن تتصلي بي لكن كيف علمت بوجودي هنا ؟

لقد ظن دوم أنك لابد أن تكوني قد وصلت إلى الفندق الذي ذكرناه لك حينما اتصلنا بوالدنا ، وأخبرنا أنك غادرت الى البيرو ومنذ أسبوع .

www.elromancia.com

لقد كان هنا الكثير من الأشياء التي تستحق المشاهدة في هذا البلد .. « أجابتها بليس على الفور » وقد بدأت تشعر بالذنب لأن من الواجب الاتصال بأختها منذ أيام وأردفت تسألها :

كيف حال دوم ؟ .. ممتاز جداً » ، أجابتها ايريث برقتها ونعومتها ، وتحادثت الأختان طويلا عن أهلهما ، كما أخبرتها بليس عن كل ماجرى معها في البيرو منذ وصولها . ثم سألتها عن حياتها الجديدة الزوجية واستطاعت أن تستشف من لهجة أختها مدى سعادتها مع ذاك الرجل الذي تزوجته وأحبته .. وما أن أوشك الحديث على الانتهاء حتى أصرت بليس على قرارها في ألا تعمل على التطفل والقدوم إليهما وهما لايزالان يمضيان شهر العسل . ولكنها فوجئت بقول أختها بأنها ستكون بانتظارها في مطار « كوسكو » في اليوم الثاني ..

حقاً يا إيريث

لكنني لن آتي غداً إلى كوسكو . أنا ...

يجب عليك القدوم ، وأدركت هنا أن ايريث تحاول أن تقوم بدور الأم من أجل رعايتها وحمايتها بقدر الامكان منذ وفاة والدتهم قبل عشر سنوات مضت ، ولن يكون من السهل اقناعها حينما تصر على أمر من الأمور ..

وشعرت بليس بنوع من الحشرجة في حنجرتها أجبرتها على ايقاف الحديث مما اضطرها للسعال ، ثم أردفت تقول :

لابد أن آتي لزيارتك لكن على أن أزور أريكوبيكو ومن ثم « ناسكا » .. وتوقفت ثانية عن الكلام بسبب سعال جديد انتابها .. وقبل أن تنهي كلامها حاولت ايريث مقاطعتها وهي في غاية الضيق

والانزعاج .. إنك لست بصحة جيدة ، لقد أرهقت نفسك اكثر مما ينبغي ولا زلت مصابة بالبرد .. وانطلقت ضحكة من بليس وودعتها محاولة اقناعها بأنها في صحة وعافية وليس من شيء ينقصها ..

وانسابت من شفتاها بسمة عذبة وهي تصب لنفسها كأساً من المياه المعدنية وذهبت لتستريح على سريرها . كم أنا مرهقة ومتعبة ، لعله نتيجة ماعانيته من ذاك اليوم ، وبقيت هكذا أكثر من ساعة محاولة استعادة قوتها وعزيمتها .. وجال في خاطرها أفكار غامرة عن ايريث وزوجها وعن هذا البلد الجميل « البيرو » .. وبعد مضى الساعة والنصف من مكالمتها الأولى ، رن جرس الهاتف ثانية ، أظن الأمر أصبح طبيعياً هذا اليوم .. قالت بليس بينها وبين نفسها ، وهي التي أمضت أياماً أربعة في تلك الغرفة لم تسمع فيها أحداً ينبس ببنت شفة .

التقطت السماعة وتساءلت عما يكون ذاك المتكلم ولم يطل استغرابها ، لقد كانت إيريث ثانية .. وسرعان ماتغيرت دهشتها وسرورها لحيرة كاملة حينما أخبرتها ايريث عن سبب مكالمتها ثانية .

من الواضح أن مكالمتها هذه تتعلق بالأولى ، فقد أخبرتها ايريث أن هذه كانت بسبب « دوم » ، الذي طلب منها حينما رأى ملامح الضيق على وجهها وهي تكلم أختها ، وحينما أخبرته كامل التفاصيل عما دار بينهما .. فقد حاول الاتصال على الفور بصديق له في ليماكي يمر على بليس ويحاول مساعدتها وليسهل عليها تصريف الأمور بأي وسيلة إن طلبت منه ذلك ، ومن أجل ترتيب رحلتها إلى « أريكوبيكو » إن رغبت في ذلك .. وحاولت بليس التدخل هنا معارضة الفكرة هذه من أصلها ، وأن بامكانها أن تقوم بإجراءات الحجز وما إلى ذلك بمفردها ،

www.elromancia.com

لكن ايريث بدت وكأنها تفكر بأن أختها إنما تعارض لسبب آخر ؟.. على أية حال لاتكترثي للأمر ، « قالت ايريث » ، لأن دوم لن يطلب من أحد أن يقوم بأي إجراء إن كنت على مايرام .. أعلم ذلك .. « أجابتها بليس » مقدرة هذا وهي تأخذ فكرة أختها واهتمامها بشؤونها بعين الإعتبار ، لكنها لم تتشجع لفكرة « دوم » ولإرساله أحداً ما ليسأل فيما إذا كانت بحالة جيدة .. أنا لا أعني ..

لكن ايريث قاطعتها بقولها لا تكوني عنيدة ياحبيبتي وهي تلاطفها مدركة مايجول في صدر بليس من أنها لاتود إزعاجها وهي في أجمل أيام عمرها وإلا ستكون مسؤولة عن وضع الغيوم والهموم في سماء حياتها الجديدة ..

حسناً . سألتها بليس بحماس :

مااسم ذاك الرجل ، وهل لي أن أبقى طيلة يوم غد في انتظاره ليتصل بي ؟ .

يالك من محبة رائعة حينما لاتكوني عنيدة ، قالت ايريث وقد شعرت بالراحة حينما أخبرتها أن « دوم » يدعوه « كوين » ، لكن اسمه الكامل كوينتين كوبنتيرو ، وهو من عائلة ارستقراطية غنية بيروفية ، تقول هذا وكأنها تود أن تزيد في تقييم ذاك الرجل لأسماع أختها !..

هل يعيش في ليما ؟ « سألت بليس » .. وفيما إذا . كان باستطاعتها أن تحصل على رقم هاتفه لتعمل على الاتصال به إذا كانت بحاجة ليسهل عليها الأمور ؟ . لكن ايريث أنكرت وجود عنوان له في ليما .

وأردفت تقول ، انه من أثرياء البيرو ومن أصحاب المصانع في ليما الذين يؤمنون بدعم الاقتصاد والصناعة المحلية ، ولديه مبنى لتقديم وجبات السمك الطازج على شواطىء المنطقة التي يعيش بين كنفها ، وكل ما لديه على أحسن مايرام . ويستحق الثناء بالاضافة الى أنه صديق دوم ورفيقه في الجامعة ويتقن اللغة الانجليزية حق الاتقان ..

وأحست بليس بشيء من الضيق حينما سمعت أختها تقول العبارة الأخيرة لأنه إن لم يكن بمقدوره إجادة التكلم باللغة الانجليزية فما كانت لتزعج أختها وهي تقضي أحلى أيامها لتفكر بأمورها وتهتم بشؤونها ، وكانت ستعمل على المضي فيما كانت قد خططت له ..

استأنفت إيريث حديثها : لقد نال سابقاً شهادة التخرج من جامعة اكسفورد في انجلترا كما أخبرني دوم .. ولاحظت مدى دفء كلامها وحلاوة نطقها كلما كان عليها ذكر اسم زوجها .. إذاً ماذا عليها أن تقول وكل شيء تذكره أختها يجري عكس ماظنت أنه بإمكانها التهرب منه .. فأجابت قائلة : ماذا عساني أن أقول ؟

وآمل أن أقابل صديق زوجك هذا .. محاولة جهدها ليبدو كلامهما بمنتهى الاخلاص والصدق . وأنها الآن ستمضي كل دقيقة من وقتها الثمين في انتظار ذاك الشخص الذي سيتصل بها .. وحاولت ثانية أن تطمع بالسؤال عما إذا كان من الممكن أن يتصل بها صباحاً ؟

أظن أنه سيتصل بك مساء ، « أجابتها إيريث ضاحكة » ، مدركة مايجول بخاطر أختها ، وسيدعوك لتناول العشاء حوالى الساعة الثامنة .. وحطت عنها السماعة ..

www.elromancia.com

ونظرت بليس إلى ساعتها لتعمل على إعداد نفسها وإرتداء ثوب رصين باللون الأصفر الداكن ، ظناً منها أن الشخص الذي سيتصل بها والمدعو كوين كوينتيرو زميل صهرها في الجامعة ، لابد أن يكون في السادسة والثلاثين تقريباً وفي نفس عمر دوم ، ولن تهتم للأمر كثيراً فيما لو كان لايزال طالباً في عمر النضج في أيامه الجامعية .. لفظت هذا وهي تداعب نفسها متناسية أفكارها السابقة وقلقها مما ذكرته أختها في البداية ..

ووقفت أمام المرآة لتعمل على وضع اللمسات الأخيرة ولترى فيما إذا كان مظهرها مقبولاً وأن شعرها الخمرى الجميل ليس بحاجة الى تنسيق ، ووجدت نفسها مشرقة الأسارير فرحة جزلة لايفوتها شيء ..

« لابد لي من أن أتناول الطعام فلن يضير إذا تناولته مع هذا المدعو كوين » . وحسب ماسمعت أنه من أعمدة المجتمع البيروفي المرموقين ، لكن لابد لها من أن تؤكد له أنها ليست بحاجة لمعونته ولعل سمو أخلاق دوم زوج أختها ، هو الذي حدا به ، محاولاً جهده ، إيجاد شخص ما يمكنه الاهتمام بها في هذه البلاد ..

وما أن كانت الساعة الثامنة حتى توقعت بليس أن تتصل بها غرفة استقبال الفندق لتعلمها بوصول زائرها ، لكن هاتفها ظل صامتاً في حين سمعت نقراً خفيفاً على باب حجرتها وظنت أنه لابد أن يكون هو ، ولربما طلب من بهو استقبال الفندق رقم غرفتها كي يأتي إليها بنفسه ولينزل بصحبتها .. وأضاءت بسمة براقة محياها ثانية لتزيد من إشراقة وجهها وجمالها ، وهرعت لتفتح الباب وإذا بتلك البسمة تختفي بسرعة وتتقلص تعابير وجهها أمام صاحب العيون الرمادية الداكنة

الذي وقف أمامها معتدياً على حقوقها في غرفتها تلك .. ماذا تريد ؟! قالتها بليس بقساوة ، ثم أدركت وقد خيم ظلام المفاجأة عليها كلا لن تكون أنت .. لكنه أجابها بنفس طريقتها .. لايمكنني أن أصدق أنه أنت من .. لكنه أجابها بنفس طريقتها .. لايمكنني أن أصدق أنه صاحب السطوة والرهبة .. لكن بليس شمخت بأنفها بكل اعتداد .

سيكون من حسن حظ بعض الناس دعوتي إلى العشاء أما أنت فلا .. وسرعان ماأدركت نفسها لتسأله هل أنت كوين كونيتيرو ؟

في الواقع ، نعم ، إنها الحقيقة ..

يالها من حقيقة مرة ؛ أجابته بطريقة من يود قتالاً أو كمن هو مولع به .

أظنك أنت الفتاة التي ... التي أدعوها بالفتاة الحلوة الرقيقة ذات الشخصية الممتعة والتي قدمت لأدعوها إلى العشاء .

وبطريقة المتكبر المأنف نظرت بليس إليه من ناحيتها وهي تقول : أشكرك لدعوتك لي ياسنيور .. ودون أن يفوتها بريق عينيه لدى سماعه كلامها .. واعتبر أن مهمتك قد انتهت لأنني لن أذهب بصحبتك الى العشاء .

كم هو عمرك ، سألها « كوين » محاولاً إقحام نفسه فيما كانت تتفوّه به ..

اثنان وعشرون عاماً ، علماً بأنه لم يكن في نيتها أن تجيبه ..

حاولي إذاً أن تتصرفي بما يلائم عمرك ودون طيش منك .. أتصرف ماذا ... « أجابته بدهشة وهي لاتكاد تصدق مايقوله » .

www.elromancia.com

توقفي عن هذا الهراء ، وحاولي أن تكوني ممتنة لأن « دوم » صهرك ..

لكنها قاطعته بكلامها :

أنا طائشة ... هراء ... وهي ترغى وتزبد ولم تتصور يوماً كيف يمكن لأحد أن ينعتها بهذه الألفاظ .

إنه زوج أختك ، ولا تقولي أختك إيريث ، هو المهتم كثيرا بأمورك هنا وبصحبتك وبرقة ... —

قاطعته بليس ، إنها على أفضل ما يرام ، وليس هناك ما تشكو منه ، وانفجرت وهي ترى نفسها الآن نداً لند معه ، محدقة في وجه ذاك البيروفي المتحجر الملامح .

ودون أن يتفوه بكلمة أرخى برأسه إليها ، وهو بذاك الطول الفاره ، ليتأملها بإمعان ، ثم أردف يسألها :

هل تشكين من سوء الشهية أيضاً ؟ .

وفي حين كانت بليس في أوج غضبها ، وهو في كامل هدوئه ، ولم تبد ثقة في تلك اللهجة الساخرة الصادرة عنه باستهجان ، رمقته بنظرة حادة لتقول اننى لست جائعة ..

ماذا تعني بقولك هذا ؟ وهل ترغبين أن أخبر أختك بأنك لم تقبلي دعوتي لعدم شعورك بالجوع ؟! ..

ووجدت بليس نفسها وقد فغر فاهها من كثرة ما .. وجمعت كل مالديها من شجاعة واستعدت لتقول ، ان عليه الذهاب وعدم الاتصال بها حتى بالهاتف ، ولكنها سرعان ماتذكرت مدى خوف إيريث عليها حينما أصيبت بذات الرئة وكيف رعتها حق الرعاية لكي تستعيد

نشاطها وصحتها وشهيتها ثانية ، وإنها تكره كوين هذا ، لكن يبدو أن له اليد الطولى الآن ، كما يبدو أنه يعرف كل شيء عنها .. فصرخت تقول غاضبة :

إنه ابتزاز وإحراج ، وتكرر عباراتها وعيناها تكاد تقدح شرراً من شدة ما ألم بها من ضيق ، لكن الوقت قد فات الان لتؤكد له كي يقول لأختها ألا تنزعج من ناحيتها وغدا الوقت متأخراً على ذلك ..

ها آنذا أحافظ على عهدي بما وعدت عائلتك من اهتمام بك .. قال هذا كوين بخشونة ظاهرة ومع أن سوء تصرفه لم يدم طويلاً لأنه سرعان ماعاد طبيعياً ليقول لها ببساطة ودون جرح مشاعرها : إننى متقاعس عن تحمل هذه المسؤولية لأنه من الواجب عليك المساهمة فيها ، وهنا طار صواب بليس ، لكنه قد وصل إلى النقطة المهمة ليضع اللوم على دومنيغو دو سارموزا ، صديقه القديم ، الذى خطط لهذا الأمر دون علم منه . ولأننى أكدت له بما أنك الآن فرد من أفراد أسرته ، فإنه من دواعي سروري تناول العشاء معك ، واضعاً نفسي تحت تصرفك إذا ما صادفتك المتاعب هنا في بلدنا ..

وجال في خاطرها مشكلة واحدة وهي — هو — وأدركت من طريقة كلامه معها أنها لابد من أن تذهب معه ، إيفاءً بعهده أمام صديقه القديم العزيز دوم ، أو أن عليها أن تذهب مباشرة لتتصل بالهاتف مع دوم ، وستكون حصيلة ذلك أن كوابيس مقلقة مزعجة ستنتاب ايريث خوفاً عليها ، وما عليها آنذاك إلا أن تترك زوجها لتأتي إليها على جناح السرعة لترى ما إذا كانت حقاً بصحة جيدة أم لا ولتنغص عليها في أحلى أيام حياتها .

www.elromancia.com

يالسخف !.. ونظراً لعدم توافر اختيار آخر أمامها ، احكمت بليس قبضتها على محفظتها لتسرع عبر المدخل وتغلق باب الغرفة .. ويتوجه الاثنان الى باب المصعد دون أن يفوها ببنت شفة . يالسخرية القدر ! قالت بليس فيما بينها وهي تخرج زفرة متقدة ملؤها الألم والضجر .. إنني لا أرغب في تناول العشاء معه ، وهو ، لايريد ذاك أيضاً ، لكن ماالذي علينا فعله ؟ .. لا بد من الذهاب معاً لتناول العشاء !! .

وفيما كانت تلعن حظها العاثر ، عرض عليها كوين أن يتناولا الطعام في الفندق ذاته .

ودخل الاثنان بصمت مطبق على شفاه كل منهما . وفجأة لمحت أنه يرمقها بنظرات التفحص الدقيق . فرفعت رأسها إليه لتراه يحدق ملياً في كل جزء من وجهها وخاصة في شعرها الخمري الرائع البراق ؛ وألقي بنظره بعيداً عنها مظهرا أنه منشغل بأمر آخر وليسألها إن كانت بحاجة لأية خدمة ؟ .. كلا ، لست بحاجة الى شيء سنيور .. أجابته بأدب وبرود وبدأت تتناول الحساء ..

وحصل في المرة الثانية حينما كانت تقطع شريحة من اللحم أن قال بصوت منخفض رقيق أنه واثق تماماً من أنها لن تنكث وعدها في أن تتناول العشاء مع أي شخص آخر كي تتهرب من العشاء معه ..

ورمقته بعينيها الخضراوين الكبيرتين ، يالك من خنزير ، وقد أدركت تماماً مدى احتقاره المتبلد لها وتلك النظرة من الاشمئزاز والتي قصد فيها ماقصد حينما سمحت للسنيور « فيديلا » أن يجلس معها فيما كان يبدي ملاحظة ساخرة لتصرفها ذاك .

لكن بليس كانت ستلعن نفسها حقيقة إن كانت ستسمح لصداقتها مع فيديلا وزوجته أن تتلاشى .. ودون أن ترفع بعينيها إليه ، أجابته برقة وعذوبة : لم يكن لدي أي موعد هذه الليلة .. وتركته ليستنبط فيما لو توفر لها دعوة أفضل ، فمن المؤكد أنها لن تحمل على قبول العشاء معه .

وفيما كان يوشك فتح فمه ، سكت ثانية وكان جوابها قد أفرحه ، ولم يحرك لسانه بأي حرف ، ثم لاحظت قبل أن تشيح بناظريها عنه أنه كان يملك فماً رائعاً للغاية . وحاول كوين أن يكبت ابتسامته حينما نظرت إليه ثانية ولغرابة الأمر ، أن بليس لم تعمد على اظهار بعض الاهتمام فقط بل وجدت نفسها تطرح أسئلة عليه :

ماذا عن أحوالك أنت ياسنيور ؟ .

وهل عليك أن تلغي مواعيدك الهامة وأعمالك كي تعني بوعدك أمام زوج أختي ولكي تتناول العشاء معي هذه الليلة ؟

وتفحصها بعينه الجميليتين للحظات طويلة مسدلاً أهدابه أسفلاً ، ومن باب الغرور مما عرفته عن ذاك الرجل أجابها فقط بقوله : كلا ؛

وبالرغم من عدم اكتراثها لما يقوله ، لكنه أغاظها بذاك الجواب الأحادي اللفظ . آه ...

ولمعرفتها لماذا لم يكن لديه موعد آخر تلك الليلة سألته فجأة :

هل أنت متزوج ؟

أؤكد لك أنني لست متزوجاً ، أجابها بلهجته الصلدة الجافة ، وكأن شيئاً في لهجته يحذر بليس من أنها تدوس الآن على شيء حساس

وخاص للغاية . لكن الذي جعل الأمور أكثر إثارة حينما سمحت لنفسها أن تسأله وكأنها تعرف هذا الأمر حقيقة :

لقد كنت على وشك الخطوبة ، ومنذ فترة قصيرة ؟

لكن آه .. لعبارتي تلك .. قالت بليس بينها وبين نفسها .. وهنا رمقها كوين بنظرة خبيثة ، وكأنه يتساءل ماذا عليه بحق الجحيم أن يفعل مع تلك الفتاة ؟! ..

وبالرغم من ذهولها ، فقد تصرف عكس ماكانت تتوقعه منه وتفضل بعدها بالاجابة :

اعتقد أنه كان على أحدنا أن يبدأ بهذا .. ثم توقف محاولاً تحديها لتنطق بكلمة أخرى تتعلق بنفس الموضوع ..

واستأنفت بليس ، دون وعي منها ، حديثها معه ضاربة عرض الحائط ماظهر منه كي تبقى صامته في بداية الحديث وبأن السيدة المعنية لابد وأن أدركت في الوقت المناسب أنه ليس بالشخص المناسب لها بالرغم من روعته .

وفيما كان يحاول إستدرار الكلمات من فمها ، حينما عمدت بليس على الصمت ، يخالجها التفكير فيه ثانية على أنه لابد أن تكون غلطته وبرودة تصرفاته هما المسؤولان عن هذا .. لكن لماذا تسيء إلى أحاسيس الناس الآخرين وهي التي لم تعمد إلى هذا أبداً في حياتها وأدركت ماتعنيه أقوالها ، فحاولت الاعتذار له ، لكنها سرعان ماسُرت لأنها لم تقم بذلك ، حينما انطلق لسانه وتغيرت ملامحه ثانية ليقول :

إن السيدة « بالوما أوريجا » التي تسألين عنها كما تقولين ، وأنا لم نكن مخطوبين ، ولم أتوقع رؤيتها ثانية ، كما أن الأمر هذا ليس من

شأنك ! وبعد لحظات من الصمت ، حاول كوين اغتنام اللحظة لاختراق جدار ذاك الهدوء المطبق ليسألها : ماذا عنك أنت ؟ وعيناه الرماديتان تكاد لاتفارق محياها ..

أنا ؟ .

نعم إنني أرى خلو أصابعك من أي خاتم ، ولربما كان هذا الأمر لايهم هذه الأيام ؟ وفهمت من كلامه شيئا يعينها لكنها أجابته بسرعة

انني لست متزوجة ؛

أظن أن الأمر يتعلق بشخص ما ؟

لابد أن هذا الآن من حقه ليطرح عليها مثل هذه الأسئلة لأنها سبق وسألته كذلك . فأجابته :

هناك رجل صديق اسمه ندجونز ، مجرد صديق لا أكثر ولا أقل ، لكن هذا الأمر يتعلق بي ، ثم حدقت فيه ملياً وهي تحتسي قهوتها . وفيما كانت سمع وشك الانتهاء دخل شابان يبدو عليهما الثراء ، وعرفت أنهما من نزلاء الفندق منذ بضعة أيام ، وبما أنها كانت قد شاهدتهما مراراً فقد ألقت التحية عليهما بهز رأسها ولم تر خيراً في ذلك حتى وهي تجلس برفقة شخص من سكان بلدهم أيضاً ..

إبتسم الرجلان لها ، وبادلتهما بليس هي تلك الابتسامة ، وبدأت كلمات كوين تنقض على مسامعها انقضاض العاصفة مكشراً يقول :

لعله من الأفضل لو تتوقفين عن مثل هذه التصرفات كي لاتسيئي لنفسك مع كل رجل تقابله عيناك في البيرو .

وطار صوابها وهي تسمع هذا ، لقد سمعت منه مايكفي وهي لم ترغب منذ البداية في تناول الطعام مع هذا الرجل الظالم بأي شكل ،

www.elromancia.com

فأجابته :

إن لم يكن لديك غير هذا لتفوه به فعلي أن أقول لك ، ليلة سعيدة .. ووداعاً .

ووقفت ووقف كذلك ينظر إليها بازدراء ليودعها مساء سعيداً سنيوريتا .

ومشت وظهرها إليه مدركة تماماً بأنها لم تشعر بالكراهية تجاه أي شخص البتة كما تكره هذا الرجل ، كيف له أن يحذرها من العبث ، انه ليس عبثاً مجرد القاء تحية .

كيف له أن يظن ذلك ؟

وماالذي يعنيه في كلماته تلك ؟ وكيف يجرؤ على النطق بها ؟ ولعل عزائها الوحيد كان فى أنها تركته دون أي موعد لتراه ثانية ، ومابدر منه أثناء العشاء ماكان إلا مضيعة للوقت ..

وعادت أدراجها إلى غرفتها لتندس تحت الأغطية تحاول النوم وهي تقول ، لست آبهة ابداً ، فقد فعلت مافعلت إتقاءً لتصرفات اختها التي كانت قلقة جداً عليها .. وهاهي قد أدت الآن مايتوجب عليها ، فما عليها إلا أن تنسى أمر كل شيء يتعلق بهذا المدعو « كوين كونيتير » وتتابع الاستمتاع بما تقدمه لها لزائريها ..

المقطع الثالث

استيقظت بليس صباح اليوم التالي عاقدة العزم أولاً على زيارة كوسكو . وفكرت ملياً ، نعم على أن تذهب اليها أولاً ثم تطير إلى اريكوبيكو . وبدأت نهارها بمعنويات عالية واندفاع لاهث وراء مايغني عينيها ومايشبه هوايتها لتغدو خارج الفندق بأسرع وقت ممكن .

ودخلت المطعم ، وسرعان ماأكفهر وجهها وتقطبت أساريرها . لقد كان وحده في ذاك البهو ينظر مباشرة إليها وهي تدخله .. لم يكن أحد سوى كوين كونييتر وبعينه ..

« يا للرجل المزعج » .. قالت وهي تتابع خطاها وكأنها لم تلحظ شيئاً سوى أنه كان يتناول افطاره .. وفيما كانت تقترب رأت من الأنسب أن تبادره بقولها صباح الخير ، عازمة على عدم التدخل في عزلته تلك وجلست على بعد أقدام منه .

وأجابها بلعثه البيروفية أسعدت صباحاً ، سنيوريتا .. لابد أنه يفضل تناول الطعام بمفرده ، قالت بليس وقد زال ضيقها تقريباً وتذكرت كيف كشف لها البارحة أن احدى النسوه والمدعوة « بالوما أوريجا » قد نخلت عنه ، فلربما لايرغب بأخرى غيرها لتشاركه

www.elromancia.com

طعامه .. وتوقفت بعدها عن إبداء الاعذار لسوء تصرفاته تلك .. ولكنها لم تستطع فأردفت تهتف فيما بينها .

لاشك في أن الرجل ظالم قاس ، ولم يبدُ أن الأمر يتعلق بتفكيرها بحبه الضائع حينما قررت الجلوس بعيداً عن طاولة غير طاولته ، ثم تذكرت وعده لصديقه « دوم » ، والذي جعله ملتزما بتناول العشاء معها وسؤالها ان كانت ترغب في أي مساعدة أو في أي أمر تشاؤه ، لكنه يمكن أن يعتبر أنه أدى واجبه وانتهى الأمر ..

وحاولت طرح أفكارها جانبا وقصر اهتمامها على الطعام لكنها لاتشعر بالجوع ، واكتفت بتناول كوب من القهوة ، حيث قررت أنه ليس لديها مايبقيها في المطعم فيما كان هو لايزال يتناول طعامه ، ونهضت لتغادر المكان بهدوء ..

وهبّ موظف الاستعلامات يسألها إن كان بإمكانه أن يقدم لها أي مساعدة فشكرته على ذلك ، وقد قررت أن عليها الذهاب إلى كوسكو في اليوم التالي . وما دامت إيريث ودوم يصران على أن يأتيا لأخذها من المطار والمجيء بها إلى جهارا لذلك رفضت اعلامها عن قدومها حتى تصل المطار ، ولأنه لم يكن في نيتها الاقامة لديهما حينما ستذهب في رحلتها الى هناك كي لاتعمل على أن تنغص عليهما استمتاعهما بأجمل أيام حياتهما ، من أجل أخذها والتجوال بها في منطقة كوسكو . وعلى هذا فلن تعمل على الاتصال بهما حتى تنتهي من كامل مشاهداتها للأماكن الجميلة .

وأخبرها المسؤول عن ذاك المكتب أنه سيكون من دواعي سروره إن رغبت ، أن يؤمن لها الحجز على الخطوط الجوية وعيناه لاتكاد

تفارقها من شدة اعجابه بجمالها حينما قالت هل لك أن تحجز لي على الطائرة التي ستقلع الى كوسكو غداً صباحاً ؟ ..

وفوجئت قبل أن تنهى كلامها بصديقها كوين خارجاً بالقرب منها ومحفظته بيده حتى دون أن يلقى نظرة إليها ؟

يالك من تافه ، وعجبت لهذا الرجل الذي طالما يثير فيها الانزعاج كلما رأته أو وقع بصرها عليه .

لابد أنه رآها ؟ وكيف له أن يتصرف هذا التصرف الأحمق حتى دون أن يلقى التحية إليها ..

وحاولت جاهدة إبعاد هذه الأفكار عن خاطرها حينما خرجت تتدو من متحف إلى آخر ، متجولة عبر معروضاتهم وخاصة متحف الذهب الذي أخذ بلبها ، لا لمجرد روعة ذهبية ، بل لكثرة ما شاهدت من ملابس ولوحات فنية وعقود وقروط ضمها المتحف والتى تأخذ بالألباب ..

ثم جلست في ركن صغير لتناول كأس من العصير ولتشتري بعض البطاقات البريدية ، لقد كان المكان جميلا حقاً ، واقترب غزال منها وكأنه يود لو ترمي له بشيء يأكله لكن هناك ملاحظة تمنع ذلك ، وبدأت تداعبه لتسلي نفسها في تلك الآونة .. وغادرت المكان إثر ذلك متجهة إلى المتحف الأثري الذي أخذ بلبها حتى حان وقت الغداء ، فعمدت على الذهاب لاحدى الساحات المملوءة بالأشجار المزهرة الزاهية الألوان وقد وجدت فيها ركناً يقدم وجبات ساخنة .. وفيما كانت تتناول صحناً من البازلاء مع الأرز حتى أدركت أن هذه هي الليلة الأخيرة لها في ليما العاصمة وعليها أن تتابع تجوالها كي لايفوتها شيء

في هذه المدينة الرائعة .. ووصلت بعد الظهر إلى احدى الكاتدرائيات الضخمة لتشاهد روعة تصميمها ، ومن ثم بهو اللوحات الفنية ، وعادت أدراجها إلى الفندق يلفها الارهاق والتعب ولكن سرورها لما شاهدته قد فاق ذلك .

وما أن استراحت لبعض الوقت حتى كان رأيان متناقضان يلوحان في خلدها لتنزل وتتناول العشاء في البهو أم تبقى في غرفتها ..

يالسخرية ويالحقارة ؟!.. ولم عليها أن تشعر بالضيق والانفعال ؟! . ورمت ماعليها من لباس لتأخذ حماماً دافئاً ثم تتهيأ لتنزل بهو الفندق لتناول العشاء .

لقد غاب تلك الليلة عن ناظريها ، وعادت لغرفتها وهي تحاول اكتشاف السبب ورغم قضائها ليوم رائع فقد اعتراها الركود والخجول ..

وأخذت تعد حاجاتها للسفر صباحاً حينما شعرت بالتعب يدب في أوصالها أكثر مما ينبغي ، وعادت لتفكر فيه ثانية ، لعله غادر الفندق بسبب عدم الاكتراث به في تلك الليلة ، ومن الممكن كذلك أن يكون على موعد خارجه ..

وأعدت بليس كل شيء في صبيحة اليوم التالي لتغادر الفندق ، في طريقها إلى كوسكو .. وفيما كانت تدفع حسابه استطاعت الاستفهام كذلك من أن كوين قد دفع حسابه بالتالي وغادره أيضاً ..

واستقلت سيارة أجرة لتنقلها إلى المطار ، وما أن انتهت من وزن حوائجها وانتظار قصير حتى تابعت طريقها إلى الطائرة لتجلس في أحد المقاعد ..

ولشد ما كانت دهشتها حينما رأت أن كوين قد دخل الطائرة كذلك ليجلس إلى جانبها بالرغم من توافر مكان فارغ آخر على بعد خطوات منها ..

أسعدت صباحاً .. قال كوين ببرود وهو يلقي عليها التحية ويقوم بفتح الخزانة فوق ذاك المقعد لإيداع محفظته فيها ..

أسعدت صباحاً ؛ أجابت بليس ببرود وبنفس الطريقة ، وهي تحاول قدر المستطاع عدم اظهار دهشتها لمرآه ، وشعوراً منها بأنه لابد وأن تسافر بعد أن تمضي فترة في هذا المكان .. وتساءلت بليس إن كانت هذه التحية ستوفر لها الحديث معه بعد اقلاع الطائرة . ورأته بعد قليل يستأنف كلامه معها بكل أدب ولباقه ليقول :

هل أنت في طريقك إلى جهارا ؟

ربما ؛ « أجابته بليس » ..

لا أظن أن دوم سيقابلك ؟ .. سألت كوين على الفور إن دوم وأختي لايزالان يمضيان شهر العسل ، ومن الطبيعي أن أمر بهما قبل مغادرتي إلى انجلترا ، لكن مادام الاثنان في أحلى أيام حياتهما فلن أنغص عليهما استمتاعهما ليعملا على التجوال معي هنا وهناك . ونظر إليها كوين متفحصاً ومتفهماً لما في خلدها . وسألها ثانية :

هل أنت مهتمة بعلم الآثار ؟

وجال في خاطرها أنه لابد أن صديقه دوم هو الذي أخبره وألمح له بالتالي عن شخصيتها وكذلك عن اهتماماتها لتقول :

نعم ، إن هذا صحيح ، ثم أردفت قائلت لتوفر له الكلام :

هل تسكن بالقرب من كوسكو ؟

ظناً منها أنه من المنطق ومادام هو صديق دوم ، إذاً لابد أن يسكن في كوسكو ، علما بأن أختها قد أخبرتها أنه يسكن قرب الشاطىء في حين أن كوسكو مدينة داخلية .

ـــ كلا ، « أجابها كوين »

وتوقعت أن يستأنف حديثه ولكنه صمت ولم يصدر عنه شيء عن مكان إقامته أو في معرفتها لسبب ذهابه الآن إلى كوسكو .. ولاذ الاثنان بالصمت فترة ثم طرح عليها سؤالا آخر بقوله :

ـــ أظن أنك كنت متوعكة الصحة جداً مؤخراً ؟ .. كما أعلمني دوم .

وتمنت بليس لو أن دوم بقي صامتاً معه ولم يعمد إلى اطلاعه بكافة الأمور عنها ..

لقد أصبت بالتهاب ذات الرئة الحاد ، قالت بليس محاولة تخفيف مدى اصابتها ، ولكن ماعرفته عنه من حبه للاستطلاع في كل شاردة وواردة ، فلن يسكت عند جوابها هذا . فأجابها ؟

أعتقد أن الأدوية الحديثة المتوافرة هذه الأيام قد جعلت من هذه الاصابة أشبه مايكون بالانفلونزا ، وشعرت من جوابه هذا بأنها تنفست الصعداء ، لأنه عمل على اختصار الطريق ، ولذلك أجابته بسرعة :

ـــ إنها لكذلك ؟

لكن ماعرفته هو أن إصابتك كانت عنيفة للغاية ، قال هذا وعيناه لاتكاد تفارق عينيها لحظة ، أجابته :

ـــ نعم .

وهل كانت الاصابة في كلتا الرئتين ؟!

وبصوت متقطع قالت :

ن .. ع .. م ..

وتمنت هنا لو استطاعت أن تضربه على رأسه حينما راح يسألها ثانية :

ـــ ثم ؟

والتفتت إليه بنظرة تنم عما يدور في خلدها ، ومن ثم أدركت أن فضولية هذا الرجل لن تقف عند هذا الحد .. وبما أنها لم تكن بعد على استعداد لتخبر « دوم » وشقيقتها « إيريث » أنها موجودة بالقرب منهما ..

وسرعان ما علمت أنها إن لم تجبه على أسئلته فسوف لن ينسى هذا الأمر وربما يخبر به دوم حينما يلتقي به . وساورها القلق لأنه لم يكن هناك مايدعو لذكرها على الاطلاق ؟..

وأجابته بانفعال ومرارة ظاهرين :

بما أنه لابد لك من أن تعرف ، فقد أخذت أجازه مرضية لفترة من الزمن ، عدت بعدها إلى عملي ، لكن سرعان ماأصبت بأزمة أخرى نقلت بعدها إلى البيت على الفور .

ـــ أظنك لازلت في إجازة مرضية ؟

ـــ كلا ... ولاذت بالصمت ثم أردفت تقول أخيراً :

أنني الآن بأفضل حالة صحية . وكان في ملامحها شيء طبيعي من الاصفرار لم يغير جمالها بل كان يتلاءم ولون بشرتها الى حد كبير ومع شعرها الخمري الرائع الذي جعلها موضع اعجاب كل من رآها سابقاً .

وبدا كوين يرمقها بنظراته ويتفحصها ولم يبد أي بادرة إعجاب بجمالها ، ولابد له كما ظنت بليس أن يعلق على اصفرار وجهها .. لكنها سرعان ماشعرت بالاطمئنان والراحة حينما بدا أنه قد سأم ذكر هذا الموضوع كما هو الحال بالنسبة لها ، واختار أن يعلق على شيء مختلف تماماً حينما سألها :

ماهي مهنتك ؟

ورفعت هنا بليس الراية ، وهي تشكر خالقها لأن هناك شيئاً لايعرفه عنها ..

ـــ إنني أعمل موظفة في مكتبة .

ولم تجد ضيراً في اعلامه بهذا ، لكنها ضاقت ذرعاً بأسئلته الكثيرة حولها لذلك لابد من أن تفكر بشيء آخر يبعده عن هذا الحديث ..

وخطرت لها فجأة فكرة سبق وسببت لها بعض الاحراج فسألته بانفعال واضح :

أظنك لن تذهب إلى جهارا ؟ أليس كذلك ؟ ..

وبدا قلقها واضحاً فيما كان كوين يحدق في عينيها الخضراوين دون ملل ..

لقد كنت محقة تماماً حينما ذكرت لي أنه من غير اللائق ازعاج عريسين في شهر العسل .

لكنها لم تتوقع هذه الاجابة فسألته بإلحاح أكبر :

ـــ ألن تذهب إلى هناك ؟ فأجابها بمنتهى الأدب :

ـــ يالك من رومانتيكية ..

لكنها وعيناها لاتكاد تفارقانه لم تكن لترضى بهذا جواباً ..

فابتسم قائلاً وكأنه فهم ماتقصده :

ـــ ليس في نيتي زيارة جهارا في رحلتي هذه ..

وشعرت بليس بالراحة تدب في أوصالها ، وسرعان ماتذكرت أن دوم كان قد اتصل هاتفياً مع كوين في ليما للسؤال عنها .. ولربما كان الاثنان على اتصال دائم مع بعضهما لغرض ما .. وخاصة حينما رغب دوم في ايجاد شخص أهل للثقة يفتش عنها في ليما .

فسألته على الفور :

ـــ كيف عرف دوم بوجودك في ليما هذا الأسبوع ؟

أظنك اتصلت به لاخباره بذلك ؟ .. وشعرت وهي تضيف هذه العبارة بأنها مجبرة على ذكرها وهي تحدق في تلك العيون الرمادية الداكنة ..

واتسعت عيناها مظهرة ذكاءها بالإضافة إلى روعة جمالهما حينما أجابها :

ـــ مادام الأمر يقلقك ، ومادمت مصرة لمعرفة ذلك ، فيمكنك الاطمئنان والتأكد بأن بين كل مكالمة وأخرى بيننا فترة ماتزيد عن ستة أشهر .

وحاولت معرفة المزيد فأضافت تسأله :

ـــ هل تود القول بأنك لن تتصل به قبل ستة أشهر ؟

فأجابها ببرود وفتور :

ـــ لا أظن ذلك على الاطلاق ، محاولاً الحط من معنوياتها بعد أن كان قد دفعها بعيداً عن معاناتها قبل لحظات :

أعتقد أنني سأتصل به خلال شهر من الزمن لأنني أخبرته أنني في

www.elromancia.com

ليما وسأمكث فيها بضعة أيام حينما اتصلت به لبحث أمور أخرى تتعلق ببناء سفينة لي .

وقد حاول دوم الاتصال معي في اليوم الثاني بعد أن اتصلت بك « ايريث » ، طالباً البحث عنك وماسبق وعرفته .. واقتربت الطائرة شيئاً فشيئاً من كوسكو ، ووجدت نفسها في قلق واضطراب .. وكيف لها بحق السماء أن تزعج أختها وزوجها في هذه الأيام وهي التي لم ترغب اطلاقاً ، وكما قال كوين أيضاً ، على أن يزعجاهما بقدوم شخص آخر .

وهيمنت تلك الفكرة على مخيلتها طيلة الرحلة حتى حطت بهم الطائرة في مطار كوسكو ، ورغبت أن تخبر كوين في أن يجد سبباً للاتصال بزوج اختها خلال أيام وألا يخبره بوجودها معه على نفس الطائرة حين قدومهم إلى هذه المدينة ، وتمنت عكس ذلك حينما فسح لها كوين الطريق أمامه .

« شكرا » ، همست له بليس ثم نزلت درجات سلم الطائرة وهي تعلم أنه لابد أن يفعل مايرتئيه ، ومحاولة إفهامه كم من المهم أن تكون اختها الحلوة الجميلة حرة طليقة في أحضان زوجها دون أن تفكر بأي شخص آخر .

ووقفت داخل صالة القادمين تنتظر وصول حقائبها وهو على بعد خطوات منها ، ولعلها كانت تفضل الأمر كذلك .

وما أن وصلت حتى حاولت إفهام أحد الموظفين برغبتها في إيجاد سيارة أجرة .. وفجأة وجدت أن حقائبها قد خطفت من يديها وصوتاً يقول :

ـــ أظنها ثقيلة جداً لفتاة رقيقة ، سينوريتا ، هل تتفضلين وتقبلين مساعدتي ؟

وكان في الواقع قد حمل الحقائب وأسرع متجهاً ناحية الباب الخارجي .

واستطاع دون عناء إيجاد السيارة في الوقت الذي كانت بليس بضيق يكاد يخنقها ، وامتنعت عن الاسراع في خطاها وراءه ، وطار صوابها وهي تراه يضع حقائبه وحقائبها معاً في تلك السيارة .

وأسرعت للسائق تقول :

ما الذي يجري هنا ؟!

فالتفت لها قائلاً :

ما اسم الفندق الذي حجزت فيه سينوريتا ؟

انني لم أحجز بعد ، ولم تكن تنتهي من جوابها حتى وجدت كوين يفتح باب السيارة التي دخلت منه ليجلس بالقرب منها .. ولتنطلق بهما السيارة بعدها بسرعة مذهلة . والتفتت بليس بغضب وانفعال تقول :

ـــ بحق السماء ، أخبرني بما تريد فعله ؟

فقال : أدركت من حديثنا بالطائرة أنك تودين الاقامة في الفندق حين قدومك إلى كوسكو كي لاتعملين على إزعاج أختك فى هذا الوقت، لذا فإنني أرى أنه من واجبي أن أعمل على تأمين ما أراه مناسباً في مثل هذا الظرف كي تكوني في فندق راق .

والتفتت إليه بحنق ظاهر قائلة :

ـــ لست بحاجة لترى ما تريد .. فلدي القدرة الكافية لأهتم بشؤوني بنفسي .. وأنا .....

وقاطعها بحدة :

ـــ لا زلت ضعيفة الجسم و .....

هنا أوشكت بليس على الصراخ فيما لو سمعت كلمة أخرى تتعلق بمرضها .. ولمحت عيني السائق ترمقانها مع العلم بأنه لايفهم ما يدور بينهما ولكنه يستطيع فهم ما كان يجول بينهما من جدال ..

إنني أفضل بكثير مما تظن ، ولست بحاجة لمن يرعى أموري .

ـــ حسناً ، ليس في نيتي أن أكون كما تقولين . ولكن من باب كوني صديقاً لزوج إجتك خلال الأعوام الماضية،(متجاهلا كونه هنا يتدخل في شؤونها) وبواقع الحقيقة التي تقبلين بها أم لا ، فأنت مازلت مريضة حقاً . إذاً لن أعمل على الابتعاد عنك لتحملين تلك المصيبة الثقيلة هنا وهناك حتى تجدين مكاناً للاقامة فيه . ثم حدق فيها مضيفاً :

ـــ أظنك تشعرين بالحرارة في أوصالك ؟

ومد يده محاولاً لمس جبهتها وكأنه يود التأكد من ارتفاع حرارتها ، ودون أن تتوقع منه ذلك ، تناولت يده ورمت بها جانباً عن جبهتها ، ثم تعمدت النظر خارج نافذة السيارة ظناً منها أنها إن كانت حقاً تعاني من ارتفاع حرارتها فذاك بسبب تصرفات هذا الرجل ليس إلا ..

وتوقفت السيارة خارج أبواب أحد الفنادق الضخمة في الوقت الذي كانت بليس قد هدأ روعها وسكنت أعصابها لتستعيد تذكر إسم أحد الفنادق الذي كان دوم قد نصحها بالإقامة فيه في لما ، ولربما كان على كوين بالتالي أن يقبل نفس هذا الشيء في كوسكو ، الأمر الذي يمكنها قبوله بكل رضي واحترام .

لكن فكرة الاحترام سريعا ما تلاشت وهي تشاهد كوين قد نزل من السيارة خلفها .. ومع هذا ، فقد صمتت على أن تشكره ثانية متمنية له وداعاً لبقاً .. ولشد ما أخذتها الدهشة حينما رأته يدفع حساب السائق ثم يعمد هذا الأخير على مناولته ليس فقط حوائجها لنادل الفندق الذي كان عند الباب ، بل حقائبه أيضاً .. وفيما كان يدعوها للدخول قالت :

ـــ إنك لن تقيم هنا أيضاً ؟ أليس كذلك ؟

ظناً منها أنه بحكم وجوده معها فسيبقى عينيه ترقبانها كيفما التفتت ، عاملاً بنصيحة صديقه « دوم » لكنه أجابها بلطف :

ـــ إن الفندق واسع بما فيه الكفاية لكلينا ..

هذا ما تظنه .. أجابته بليس بهدوء ، ونظرت باتجاه الخروج وكأنها تود العودة من الباب الذي دخلت منه ، وتطلب من النادل الواقف هناك حمل حقائبها إلى أقرب سيارة تمر بالقرب من الفندق ، حينما تنفس الصعداء قائلاً :

إلا إذا رغبت أن أتصل بزوج أختك لأسأله عن الفندق الذي يرتئيه لك ..

وانفجرت بليس تلملم شتات أفكارها ..

سوف لن تجرأ على الاتصال به ، مدركة أن مثل هذا الرجل لن يقبل هذا الجواب بشكل سهل .. ثم أردفت ، حسناً ، حاول الاتصال به ، وبواقع أنه له اليد العليا الآن عليها وإدراكا منه أنها لاتريده أن يتصل بجهارا ، فلابد إذاً من أن يقيم في ذاك الفندق معها ـــ ولاذ بالصمت .. ورضخت بليس للأمر الواقع ، وذهبت إلى مكتب الفندق لتراه

واقفاً بجانبها ، والتفتت لتقول له :

ـــ أظن أن لديك بعض الشؤون في كوسكو ؟ .

ـــ هذا لا يعنيك . « أجابها متجاهلاً » .

ولم تتمالك بليس نفسها ، فقد كانت على وشك الانقضاض عليه لتعضه ، ومع هذا لم تفعل ولم تكن لتجرؤ أن تتفوه بكلمة أخرى .

وما أن أنهى موظف الفندق حجزها حتى رافقها النادل إلى غرفتها وهي لا تزال مصممة على أن تدبر أمورها بنفسها .

ودخلت غرفتها لترمي بنفسها حالاً على مقعد كان في أحد أركانها . وفسحت المجال لأحزانها كي تظهر بشكل ملحوظ ، وقد هاجت شجونها وهي تحاول جاهدة طرد مايقلقها بعيداً . لربما تناولها لبعض الطعام يخفف من معاناتها ، لكنها لا تشعر بالجوع .

لكن وليس في نيتها ، ومهما كانت الظروف ، أن تعرض نفسها لآلام الرأس على أقل تقدير ، فلابد لها إذاً من اهتمامها بصحتها وطعامها ، ولتبقى قادرة على الوقوف على أقدامها ، لابد أن تنال قسطاً وافراً من الراحة الآن لتعمل على التجوال حول كوسكو بعد ساعة من الزمن ، ولربما وجدت مكاناً تتناول فيه بعض الطعام .

وعادت بليس حوالي الخامسة أدراجها ثانية إلى الفندق وقد زارت بعض المناطق الجميلة في ساحاتها وتناولت بعض الطعام في أحد المقاهي المتناثرة فيها ومن ثم تجولت عبر البقاع الحجرية لحضارة الأنكا والتي جعلتها تشعر بالسعادة لوجودها في كوسكو . وبطريق الصدفة وجدت نفسها في الشارع الغرانيتي للأنكا وهي تنظر إلى السور الشاهق حتى وجدت ذاك الحجر المشهور الثنائي الزوايا والمتناسق

بشكل رائع أخاذ .

وعادت أدراجها ثانية لتأخذ قسطاً من الراحة ولتعمل على تناول عشائها مبكراً ولعلها تقلل من احتمال الالتقاء بذاك المدعو كوين كونيتيرو .

وبواقع وجود الكثير من الأمور لتؤديها في اليوم التالي فلن يضيرها أن تذهب للنوم مبكرة كي تصحو بالتالي باكراً .

وبدا كل شيء يسير بالشكل المعقول والمقبول ، ولغرابة الصدف ما أن انتهت بليس من تناول طعامها حتى شعرت بأن شيئا قد فاتها .. ولعله من غير المعقول ، ومن باب الحيرة كذلك أن تجد نفسها وهي تتناول طعامها بمفردها ، ألا ترى كوين ، وكأن في نفسها شعوراً مبهماً يجعلها تجابه كل ذاك التحدي والذي يجعلها لا تعرف لماذا عليها أن تقابله بعنف كلما التقت به ولتجد المتعة في ذلك .

وسرعان ما تخلصت من هواجسها تلك مع طلوع صباح اليوم التالي ولكنها تبدو حزينة للحنين إلى الوطن ، لا أكثر ولا أقل .

لعله شعور غريب ، وما دامت لم تفكر أبداً سابقاً في بيتها أو في أبيها وزوجته ، فذلك لأنها اعتبرت نفسها تقضي رحلة العمر .

ونسيت كل مايتعلق بكوين الذي لم تلتق به صبيحة ذاك اليوم ، وتجولت في المدينة التي كانت يوماً عاصمة لإمبراطورية الأنكا ، وتوجهت أولاً للكاتدرائية التي كانت قد أنشئت في القرن السادس عشر على قواعد أحد قصور الأنكا ، ومنها إلى أحد الأديرة الذي كان قد دمر بفعل زلزال عام ١٩٥٠ ، ومع هذا فقد شكرت تقنية الأنكا المعمارية لأن تلك الأبنية مازالت قائمة .

www.elromancia.com

وتوقفت بليس بعد ظهر ذاك اليوم وهي تفكر في أفضل السبل لقضاء عشية ذاك اليوم . فالأمر يتطلب السير ساعات وساعات ان رغبت في مشاهدة كل شيء ، وبدا أن القرار يعود إليها ..

وأمضت ما يفوق على الخمس ساعات في زيارة أكثر الأماكن متعة وأهمية وجمالاً وعادت ثانية إلى الفندق وهي في أوج السعادة ..

وبحكم تجوالها طيلة اليوم صعوداً وهبوطاً بين التلال والوهاد فقد بدت متعبة ، وقد أخذ منها الإرهاق كل مأخذ .. وحاولت الاستراحة لبعض الوقت قبل العشاء .

واستيقظت في السابعة مساء لترى نفسها وقد ارتاحت من عناء ذاك اليوم ، ولتعمل على ارتداء ملابسها الحريرية الأنيقة ثم تنزل بهو الفندق لتناول الطعام .

هنا تقدم النادل منها ليسألها إن كانت ترغب في الجلوس وحدها ؟ ..

وسرعان ما تقدم آخر ، قادها إلى حيث طاولة مرتبة مسبقاً لاستضافة شخصين ..

أشكرك ، قالت له « بليس » وهي تتناول منه قائمة الطعام لذاك المساء .

كان لا يزال رأسها مطرقاً ينظر في القائمة حينما سمعت صوتاً يخاطبها بالانكليزية :

ـــ هل لي أن أشاطرك الجلوس على الطاولة ؟

لقد كان صوتاً طالما عرفته ..

ورفعت ناظريها ، فإذا بالرجل الذي كان حتى يوم البارحة يتمنى

لو يختفي من عالمها للأبد ، لقد كان هذا البارحة ، أما اليوم فقد بدا الأمر مختلفاً وهي في أوج السعادة ، ورأت أن دعوته تلك للجلوس معها ماهي إلا عمل إيجابي للغاية ومرغوب فيه .

تفضل ، إجلس ، وانفرجت أساريرها عن ابتسامة حلوة وهي تراه يأخذ مكانه أمامها ..

واستأنفت النظر للقائمة حينما بدرت منها لفتة شاهدته يحدق فيها مطولاً أكثر مما ينبغي وعلى شعرها .. ودون إدراك منها وضعت يدها عليه ظناً منها أن فيه عيباً ما أثار فيه تلك النظرة ، لكنه بادرها بقوله :

ليس هناك مايزعج ، وهو يحاول جاهداً أن يطمئنها .. وابتسمت له ثانية .. لكنه أردف يسألها :

ـــ أكاد لا أجرؤ على سؤالك ، لكني أود معرفة ما إذا كان لون شعرك هذا طبيعيا أم لا ؟ ..

إنه يتمتع بلون آخاذ رائع ..

لقد كان عليها أن تعطيه جواباً لاذعاً لو سألها السؤال ذاته البارحة فقط ، أما اليوم وهو يبتسم مبدياً أسناناً لؤلؤية ، والدفء يجري في عينيه ، فقد كان الأمر ذا تأثير مدمر هائل ..

وأرخت بناظريها وحتى برأسها قليلاً تحاول إخفاء مايجول بخلدها ، ومن أنه قد أصبح شيئاً مختلفاً والحرارة تجري في عينيه ، خاصة وقد انفرجت أساريره التي نادراً مانزلت من عليائها ، فلابد أن يكون وراء الأمر شيء ، وهنا سألها :

ـــ لقد أدركت من تصرفاتك أنك كنت تقومين بمغامراتك ومشاهداتك بمفردك ، وكأنك تودين أن تتعلمي من أخطائك .. لكن

www.elromancia.com

سيكون من دواعي سروري أن أقدم لك يد المساعدة إن رغبت في ذلك ؟ ..

ـــ لعله من اللطف منك .. « أجابته بكل رقة وأدب » .. كل هذا وابتسامته لاتفارق محياه لتزيد في إشراقة وجهه وحلاوة قسماته ..

ـــ هل اكتفيت بما شاهدته اليوم من آثار معمارية ؟

ـــ أجابته بمنتهى الراحة ، نعم ، وبدأت تسرد له كل ما شاهدته في الكنائس والأديرة وفي التلال من مخلفات الأنكا وما شابه ..

ـــ لابد أنك أمضيت نهاراً ممتعاً حقاً ؟

سألها كوين وقد ثبت عينيه على ذاك الضياء المنبعث من عينيها الخضراوين الكبيرتين وهي تتكلم بحماس بالغ ..

لقد كان هذا ما شاهدته صباحاً ، أما بعد الظهر فقد ذهبت لزيارة القلاع الأثرية .. ثم إندفعت لتخبره متسائلة : هل تعرف أن بعض الحجارة التي استخدمت كأساس لها تزن ما ينوف عن المئة طن ، وأن هذه الأحجار كانت قد انتشرت على مسافة تزيد على الخمسة أميال ؟!

ثم أردفت : ألتمسك العفو هنا .. أظنك تعرف تاريخ ماسبق وما لحق لهذه المعالم تماماً ؟! ..

ـــ لاتكترثي للأمر ، ولشد ما يسرني سماع ذلك من خلال عينيك النضرتين .. « كان في عباراته سحر وفتنة تعمل على إبعاد أى ضيق أو ارتباك يمكن لفتاة مثلها أن تعاني منه » .

ـــ أرجوكِ ، تابعي الحديث ..

حسناً ، قالت بتردد ، وكما كان الحال معها طيلة اليوم فلن تعمل على التوقف ، بل على الطيران إن صح القول في الكلام .. فقالت

والإبتسامة لاتفارق شفتيها وبريق عينها يزيدها روعة وجمالا :

ـــ وبعد مشاهدتي لتلك القلعة ، استأجرت إحدى السيارات ، و ....

ووجدت نفسها في حيرة هنا ، فيما كانت تدلي له بكل ما شاهدته من قصور الأنكا ، ومن حمامات النساء الملكية حتى وما شربته من ماء إحدى العيون الموجودة في التلال .. وما أن توقفت عن الإدلاء بمآثر ذاك اليوم حتى بادرها بالقول :

ـــ أرى أنك لم توفري شيئاً لنهار الغد ؟

والتفتت إليه بجمال أخاذ ، وهي التي ظنت أنها تكره هذا الرجل ، لكنه وقد بدأ بالتودد إليها شعرت وهي ترخي بأجفانها لترى ما إذا كان طبقها قد فرغ من الطعام أم لا .. انها لا تكرهه البتة ، مطلقاً .

كلا ياسيدي ، ساعمل على زيارة ماكو بيكو صباح غد . ووقفت تودعه وهي في طريقها إلى غرفتها ، فاجابها وهو يقف وما زالت عيناه تجولان في عينيها ، بليس ، لابد أن ذهابك لتلك الأمكنة سيستغرق منك طيلة نهار الغد ؟

وصعقت لهذا ، لأنها كانت المرة الأولى التي يناديها باسمها مجرداً .. وحاولت تناسي دهشتها ، ولسكوته أكثر حدة في بعض أقواله أضاف :

إذا كنت تنظرين لاقتراحك بزيارة تلك الأماكن غداً بعين الاعتبار فعليك الاستمتاع بنوم هادىء طيلة هذا الليل ؟

www.elromancia.com

وبدت عليه فتنة عارمة وهو يتكلم معها وابتسامته السابقة مازالت مرسومة على شفتيه .

وحاولت تناسي ذاك السحر العارم من هذا الرجل ، والأمر يختلف الآن .. وبدا أنها في صراع بين شخصيته الطاغية الفتانة وبين ما سبق وعرفته منه .

أجابته : إنه اقتراح جيد يا « كوين » وبدأ قلبها المرهف يرتعش بحماقة ويسرع بنبضاته وهي تغادر إلى غرفتها .

المقطع الرابع

لعل الأمور أحياناً تبدو على نقيض ماتُخطط لها في اليوم السابق . فقد عمدت بليس الى الذهاب لمحطة كوسكو للقطارات متناسية مايمكن أن يبدر من ذاك الزبون الصارم ، الملزم « كوين » ، وقد شعرت بالسعادة الآن وهي برفقته ، حتى تذكرت بأنها نادته « كوين » ، فقط ، وباعتقادها بأنه شاب وسيم ساحر فتان فلابد أن يكون هذا تغيراً ملحوظاً ..

لكنها تود النظر للأمر بعين الواقع لا بعين الخيال .. فهو رجل يمكنه بسرعة أن يكشر عن أنيابه صارخاً ، ثم يضع على وجهه قناع السحر والفتنة بعد قليل .. وتذكرت تصرفه حينما مشى بالقرب منها في فندق ليما دون أن يلقى حتى السلام عليها .. وكيف أقبل ليجلس وليشاطرها طاولتها مساء البارحة وهو في أفضل مزاج أخاذا .. ولربما إذا ماعملت على معارضته في بعض الأمور ثانية أن يرمي بها عرض الحائط ...

لكن الغريب حقاً أنها كلما حاولت إبعاده عن تفكيرها تراه قابعاً فيه لايكاد يفارقه .. وحاولت تركيز اهتمامها على شيء آخر غير ذاك الشخص ذى العيون الرمادية الداكنة ، والابتسامة الدافئة والتي

www.elromancia.com

نادراً ماتظهر على محياه .. وحاولت التفكير بماكو بيكو المكان الذي ستزوره ذاك اليوم ، وبما أن صورة هذا المكان تغطى معظم كراسات رحلات الطيران فيمكنها بالتالي تخليه بشكل جلي ..

وشكرت موظف الفندق لتسهيل مهمتها تلك حينما حاول أن يسأل لها عن موعد الرحلة ، بالاضافة الى تأمين سائق سيارة يتكلم الانجليزية لينقلها في اليوم الثاني إلى مايشبه ساحة محطة . وظنت بليس أنها ستغادر بطريق القطار ، لكن سرعان ما أشار لها السائق إلى مكان تتوافر فيه بعض الحافلات الكبيرة ، وعلى هذا ، وحسب التعليمات المتوافرة ، صعدت بليس إلى إحداها ، ولاحظت أن من بين المواطنين مجموعة لابأس بها من السواح .. وجلست في مكان يتسع لشخصين ، وبدأت بالنظر خارج الحافلة حينما وجدت شخصاً عادياً صعد ليجلس بقربها ، ومع أنها كانت محط أنظار كل من كان في الحافلة ، فلم تعر ذلك الأمر أهمية .. وما أن انطلقت السيارة حتى أدركت بعد فترة أن عليهم أن يستبدلوها بالقطار .. وجالت بنظرها خارجاً راغبة في أن يتم الأمر على أسرع مايرام حينما سمعت صوتاً يخاطب ذاك الرجل الجالس بقربها ، وقد غادر المكان دون اعتراض منه .. وعرفت ذاك الصوت ، ونظرت باستغراب وهي التي كانت تركز انتباهها خارج النافذة ، لترى ذا البنية المقوية ، الفاره الطول ذا الشعر الداكن يقف الى جانبها .. وبدأ قلبها المرهف يدق بسرعة فائقة ويرتعش من شدة الانفعال أسعدت صباحاً ، بليس .. قال كوين وهو يحييها ثم يعمد للجلوس بقربها ! ..

« لقد فاجأتني » .. وضحكاً معاً ، وانطلقت السيارة ثانية ، وبدأت الهواجس تثير فيها الكثير من التساؤلات . وقد كانت في فترة تقل عن الخمس ساعات ستعمل على مشاهدة ماكوبيكو وحدها ، وشعرت بالامتنان وهي ترى كوين يطلب من ذاك الرجل ان يبتعد عنها ، وأن بإمكانها الآن الاستمتاع بالراحة النفسية في كل شيء ..

وانطلقت السيارة عبر مناطق ريفية أخاذة ذات أشجار باسقة وارفة طيلة تلك البقاع لفترة طويلة ، ثم مالبثت أن بدت قمم جبال الانديز المكللة بالثلوج .. « ياللروعة والجمال » .. وأعادت بليس مقعدها ، وكأنها في اللاشعور تود الاستمتاع بكل ماتشاهده مع شخص آخر . ولاحظت عيني كوين ترمقانها وترقبانها وهي مأخوذة بذاك المنظر وربما كان هذا سبب نظراته تلك . لذلك سألته :

ــ أظنك قد شاهدت هذا المنظر مراراً ؟ « وهي تحاول أن تعي ماتقوله »

لكني لم أكن في يوم معتدلا كهذا وبرفقة فتاة انجليزية ذات شعر خمري رائع وقسمات فتانة .. « أجابها كوين بكل اعتداد وشهامة » ..

ولم تدر ماتقول ، فأشادت بوجهها إلى النافذة لتتابع تأمل ذاك المنظر ، ولتستنبط خلفية مايعنيه ذاك الكلام .. وفيما إذا كان عليه أن يمضي سحابة ذاك اليوم بصحبتها .. وبدت وهي تتأمل جبال الأنديز الرائعة أنها تستمتع برفقته أكثر .. وأطلقت العنان بعينيها في نظرة تأملية لتلك المناطق الريفية من نافذة تلك الحافلة ، لكن التفكير فيه كان قد طغى على كل شيء ، علماً بأنها تجهل حتى الآن مكان إقامته الحقيقي ،

www.elromancia.com

وإن لم تسل « إيريث » فلن تتمكن من الإلمام بهذا الأمر .. ولم تستطع إلا التساؤل فيما بينها عما إذا كان سبب قيام كوين بهذه الرحلة هو عدم رغبته مثلاً في العودة إلى بيته .. وهناك احتمال آخر في أن فتاته السابقة « بالوما اوريجا » والتي تعيش في نفس منطقته الساحلية ، ولسبب رفضها الزواج منه منذ فترة قصيرة خلت ، كان بحاجة ليجد الراحة في مكان ما لينسى هذا الامر قبل أن يراها ثانية ، ولعل الأمر مختلف تماماً عما تظنه .. ألم يكن كوين قد أخبرها أنه لن يعمل على رؤية تلك المرأة ثانية ؟! ..

وعقدت الحقيقة لسانها .. ماالذي دعاه ليتخذ قراره ويأتي إلى ماكوبيكو هذا اليوم ؟! .. أم أن هذا كان في نيته طيلة هذه الفترة ولم يرغب بإدلائه أمامها حينما أخبرته بأنها ستتوجه إليه هذا اليوم ؟! . ومن المحتمل كذلك أنه يود أن يقتل وقت فراغه مادام لايعمل أغلب الأوقات .. ليبتعد عن شعوره بالوحدة وليمتع ناظريه بمشاهدة موقع سياحي يتوافر فيه حشد من الناس والكثير من السواح .. وفيما كانت تتوارد هذه الخواطر عليها سألها كوين بنظرته الثاقبة وألفاظه الهادئة :

ـــ هل هناك خطأ ما ؟

كانت بليس قد رست بعينيها إلى جدول ماء رقراق ينساب بالقرب من الحافلة ، وحاولت حينما التفتت إليه على الفور تقول :

ـــ كنت أتساءل عن ... اسم النهر المتدفق جانباً ؟

والكبرياء يمنعها من أن تقول مايجول في خاطرها وما يشغلها عدا قول الصدق والذي لم يتضح بعد ! ...

« إنه نهر الألوباما » .. وفيما كانت عيناه لاتزالان لاتفارقها توقفت

الحافلة لتفسح المجال لإحدى الشاحنات الكبيرة لتمر أمامها ..

وعادت بليس ثانية لتطلق العنان لتأملاتها خارج النافذة وعجبت للظهور المفاجيء لحماقتها ، فلربما عمد على أن تكون البديلة لصديقته التي ملكت عليه قلبه ، ولماذا عليها أن تستخدم كبديلة ، وهي التي طالما كانت محط إعجاب الكثير من الأصدقاء والشباب .. وأحست بالكدر يطغى عليها وتصاعد الدم الأحمر الى وجنيتها ، وحاولت أن تهدىء من روعها وهي تلهث الآن وراء السعادة ، إنها في « البيرو » ، ولا يسمح لها الوقت أن تغور في أعماق التحليل النفسي الشخصي لتتعرف على ما يجول في النفوس .. وعليها تناسي هذه الترهات في سبيل استمتاعها بكل لحظة في هذا البلد الرائع ، لأنها ستعود إدراجها قريباً إلى انجلترا ، فكل دقيقة الآن لاتقدر بثمن ..

وفيما كانت الحافلة تمر بقرب قرية صغيرة ، سألت كوين وهي تحاول الابتعاد عما يشغل ذهنها ، عن ذاك العمود العالي والذي يبدو كالزهرة في نهايته ..

إنه يعنى الاشارة لأي شخص مهتم بأن هناك صناعات محلية معروضة للبيع ..

وتوقفت الحافلة بعد قليل ، وأدركت بليس حينما نزل جميع الركاب أنها وصلت إلى نهاية مطاف تلك الرحلة . أين نحن الآن ؟ .. سألت كوين ، فيما كانت تقف جانبه ، في حين حوصر أكثر الركاب أو السواح بالأشخاص الذين رغبوا في بيع سلعهم ذات الاتقان الفني الأخاذ .

فأجابها :

ـــ هل تودين الذهاب إلى أولانتيتانبو ؟

ـــ « كلا » ، أجابته بسرعة وبدهشة ظاهرة « أظنك سمعت بها » .. إنها على قائمة الأمكنة التي أود زيارتها .. وحسبما قرأت عنها فهي مازالت قائمة منذ الأزل بشوارعها وبيوتها وتحافظ بالتالي على شكلها كما تركها الاناس حينما طردوا الانكا من بلادهم ..

لكن الوقت لايسمح لي الآن .

ورغم أن كوين لاحظ اندفاعها ولهفتها من ذاك البريق الذي كان يشع من عينيها .. « إذاً ماعلينا إلا أن نستقل القطار إلى ماكوبيكو بعد هنيهة » أجابها ..

إذاً سأعود غداً إلى زيارة أولانتيتانبور « قالت بليس بلهجتها الممتلئة غبطة وسروراً ، سأعود غداً إليها ولأتعرف إلى تلك المنحدرات الزراعية الفريدة الموجودة على منحدراتها الجبلية ذات الموقع المتألق الغريب والذي قيل انه كان قد بنى بشكل خارق وسط الجبال ..

والتفتت لتشترى من احدى النسوة الشابات كانت تحمل طفلها ، والتي كان يبتسم لها راجية أن تشتري شيئاً ما .. ولم تخيب رجاءها حيث عملت على ابتياع قطعة ملونة جميلة يمكن تعليقها على الحائط ..

ـــ ماالذي ستفعلينه بتلك القطعة ؟

ـــ لست متأكدة تماماً .. فغرفتي تنوء بما فيها من صور وظلال ملونة ، وتكاد تصرخ فيما لو اضفت اليها شيئاً آخر .. وعملت على طيها بعناية ووضعها في محفظتها المصنوعة من القش الكبيرة الواسعة التي كانت بحوزتها ..

ـــ يالها من حافظة كبيرة لامرأة صغيرة الحجم ؟

وصعقت لهذا اللقب ؟ ..

صغيرة الحجم ؟ انني بطول خمسة أقدام لكنني أحتاجها لوضع طعامي أحياناً ، « أجابته بليس » .. آه ... وأوشكت أن ترتمي من الضحك ، لأن فكرته أن تجلب طعامها في محفظتها لم تكن لتخطر له على بال ..

ولم تغب تلك الابتسامة المشرقة عن محياها طيلة طريقها إلى ذاك القطار ذى العربات الملونة باللون البرتقالي والأصفر .. وتبعها كوين داخل مقطورتها التي خصصت لجلوسهم فيها وبواقع أنها كانت من طراز قديم فقد بدت كل مقاعدها ذات إتجاه واحد ، لذلك لم يكن لدى بليس أي اعتراض كي يجلس كوين بمحاذاتها ..

واستأنف الاثنان حديثهما حتى بدأ القطار في الحركة حوالى منتصف النهار ، وبقي كوين صامتاً ليفسح لها المجال لإشباع عينيها بمرأى تلك الأماكن من النافذة ، إدراكاً منه لرغبتها في ألا يفوتها شيء مما حولها ..

وبعد مايقرب من نصف ساعة ، استرعى انتباه بليس أن اخضرار تلك المنطقة بدأ في التغير ، وقد غطت المكان أشجار وارقة كثيفة ذات لون أخاذ .. فنظرت إليه وسرعان مافاجأها بالإجابة :

ـــ « إنها غابات الأمطار » .. ثم أشاحت بوجهها ثانية لتنظر إلى النهر الذي كان ينساب رقراقا وقد غدا يتدفق بشكل غزير فوق أرض حمرية وعرة .. وماطال الوقت حتى بماء رقراقاً هادئاً يجري بسلام ..

لقد بدا من سوء طالعها أن كوين تستطيع قراءة مايجول

بخاطرها ، لأنها حينما كان عليها أن تبدي ملاحظة تقود إلى نوع من الحديث بينهما سألها كوين :

ـــ لابد أنك سافرت إلى الخارج سابقاً ؟

ـــ نعم ، لقد سافرت ، لكنني لم أبتعد كثيراً لمثل هذه المسافة ..

ـــ أراك نستمتعين بما تشاهدينه أية استمتاع ؟

ـــ أظن أن الوقت قد حان لأكون أكثر تقييماً وتفهماً للأمور .. وقد بدا لها ودون دراية منها أنها تشعر بالراحة والاطمئنان مع ذاك الشخص الذي كانت برفقته والذي كان على دراية وتفهم للأمور .. وكأنها تعمل على المراهنة ظناً منها أنها بالوما أوريجا .. لكنها سرعان ماأدركت أنها على نقيض ذلك ، إنها واثقة بأنها ليست بالوما وبسبب دهشتها لا لعادتها ألقى كوين بنظره على وجهها الخالي من الزينة قائلاً :

ـــ لعل فتنتك الطاغية هي في أن تكوني على ما أنت عليه ، « هل هذا صحيحاً » .. أجابته بليس وقد أحست ضمنياً بأن هناك شيئاً لاذعاً فيما يقول ..

صدقيني ، إنني أقول الحق ، وضحكت ضحكة هادئة ثم علّتها بأخرى صاخبة .. وبدت وكأنها لمحت شيئاً على درجة من الأهمية خارجاً ..

وتوقف القطار .. ونزل كوين لحظة ليعود ومعه لفافات مليئة بالشطائر والعصير وبعض الحلوى ليقدم بعضها إلى بليس ، وهي التي لم يدر في خلدها أنه ذهب لهذا الشأن ، فما كان منها آنذاك إلا تمد يديها إلى محفظتها لترى ماذا أعد لها الفندق لتلك الرحلة .. لعلها كانت رحلتها الأولى في القطار التي شعرت بالسعادة لتغمرها والراحة النفسية

قد أخذت فيها كل مأخذ ! .. ووقفت لتذهب ولتلقي نظره على هندامها حينما أحست كم كانت صغيرة الحجم بالنسبة إليه حالما وقف ليفسح لها المجال لتمر أمامه ! ..

وتابع القطار سيره مخترقاً عدداً من الأنفاق بين تلك الجبال الأخاذة حتى توقف في محطة ماكوبيكو .. وبدأت الإثارة تدب في أوصالها وهي ترى المدينة ، والتي كانت حتى عام ١٩١٠ مجهولة ومنسية عالمياً اللهم إلا من سكانها القرويين القلائل الذين كانوا يلوذون بها .

كان من الممكن لها تدبر الأمر وحدها لكن وجودها مع شخص آخر ، كان يوماً ما في هذا المكان ، سيجعل الأمر أجمل وأحلى ، لأنها بلدة تقبع في أعالي الجبال وبدا أنه ليس من سبيل للوصول إلى تلك البلدة إلا طريق واحد فقط ، اللهم إلا إذا كان للإنسان قدرة خارقة لتسلق تلك الجبال العاتية .

وأحاط بها الباعة ، وسرعان ماأخذ بيدها قائلاً ، « من هنا الطريق » ... كانت الغبطة تغمرها برفقته ، وقادها حيث وقف طابور كبير من السواح والمسافرين للصعود الى حافلات صغيرة ذات أربعة وعشرين مقعداً وجاهزة لنقلهم إلى تلك البلدة النائية العالية .. ولما لبثت أن انطلقت بهم الى الأعلى شيئاً فشيئاً وبشكل ملتو ومتعرج حتى وصلوا إلى تلك المدينة الكامنة وسط الجبال ، ماكوبيكو ، ياله من منظر مثير ورائع للغاية حيث وصلت بليس وحيث تسمرت عيناها بذاك المكان ..

ونزل كوين ونزلت خلفه وهو يعمل على مساعدتها وليسألها هل أنت على مايرام ؟ .. وليمعن النظر في وجهها ويمسك بيدها بإحكام .. لقد بات قلبها يرقص من شدة الفرح والغبطة ولما تراه حولها ..

ولم تجبه عن سؤالها خوفاً من أن يتذكر ماكان زوج أختها قد أخبره عن أمر مرضها ، فهي ترغب الآن بمشاهدة كل شيء ، كما عليهما النزول من ذاك الجبل ليستقلا القطار ثانية حالما ينتهيان من زيارتهما لذاك الموقع الأثري الفريد .. وحاولت بعدها القول ، لم أشعر البتة أنني أفضل مما أنا عليه الآن .

وبدأ كوين بإرشادها إلى الأمكنة الأثرية المتناثرة هنا وهناك ، ثم أبدت رغبتها في أن تكون رحبة الصدر وأن تدعه يحمل حقيبتها حينما تناولها من يدها متسائلاً : « ماالذي ترغبين بمشاهدته أولاً » ابتسمت له وقالت : « كل شيء » .

وضمت كوين كذلك ، « وكل شيء كان صحيحاً في عالمها » وتركزت أطلال ماكوبيكو في أعالي الجبال بين قمتي جبل ماكوبيكو أو مايسمى بالجبل العجوز والجبل الشاب في اللغة البيروفية .. ولعل القمة الأعلى كانت للجبل الشاب والذي كان على الغالب مايشاهد في صور المواقع القديمة البائدة لذاك القطر ..

وأمضت بليس وقتاً غنياً عن الوصف معجبة بتلك البقاع ، وهي تتسلق جاهدة لتصل الى المكان الذي اكتشفه أحد الأساتذة المرموقين ورجل الكونجرس الأمريكي في يوم ما .. وماكانت الساعتان لتكفي إشباع رغباتها لتستطلع وتتعرف على تلك المدرجات الزراعية المدهشة بالإضافة إلى ذاك القطاع الصناعي والمعابد والبيوت والنوافير التى سبق

أن بنيت على تلك المصاطب والتي غالبيتها قد ارتفعت مايتوف عن الفي قدم من وادي أوروبا مبا الموجود الى أسفلها هناك .. وحدث أن فقدت بليس حذاءها بين تلك الصخور ، لكن سرعان ماعمل كوين على امساكه بيده قائلا : حاولي تثبيت قدميك جيداً حينما تسيرين .. واحمرت خجلاً من شدة الاجهاد وهي تنظر في عينيه ولم تتمالك أنفاسها ، لذلك لم تناقشه وترد عليه ، وكأنه كان قد أدرك الضغط الذي يتحمله صدرها آنذاك ، فأمسك بيدها بإحكام حينما وقفت لتنال قسطاً من الراحة ثم أشارت قائلة :

ـــ هل ذاك هو الطريق الذي سلكناه للقدوم إلى هنا ؟ .

محدقة بتلك المنحنيات الثلاثة عشر الموجودة على مقربة منهما والتي كانت تلتوي التواء الحية إلى الأعلى جانب الجبل ، فأجابها بسرور جعلها تشعر بأن النزول من ذاك العلو الشاهق هو أكثر جهداً وأصعب تجربة من الصعود إليه ..

ثم استأنفت تجوالها مع أولئك السواح الذين كانوا يفدون خلال الآثار وفي مختلف الجهات .. وحالما وصلا إلى برج المراقبة لم تجد قربها إلا كوين . وفيما كانت تتفحص إحدى الكتل الغرانيتية في البرج فاجأها السعال ، وعبثاً حاولت ايقافه ، وجالت بناظرها ناحية كوين فوجدته يمعن اليها النظر ويتفحص مابدر منها طيلة الوقت ... وما أن توقف حتى حاولت أن تستأنف الحديث معه رغبة في التخلص مما ألم بها وسلو الأمر ، فسألته :

هل ذاك هو وادي النهر الذي يتدفق منه نهر أوروبامبا ؟

« التزمي الصمت قليلاً ولا تتكلمي » ، أجابها كوين بهدوء

وهو يقترب منها رويداً ، وحاولي الخلود إلى الراحة .. واقترب منها أكثر مقدماً صدره الرجولي كي تستند إليه .

وخفت حدة سعالها بالتدريج وتطلّب الأمر بعض الوقت حتى استعادت أنفاسها وتجرأت بالقول أن الأمر قد انتهى .. ومالبثت تقول هذا حتى فاجأتها نوبة أخرى .

آسفة جداً ، قالت أخيراً محاولة الابتعاد عنه قليلاً في حين كان قد طوقها بكلتا يديه وهو يقول حاولي الخلود إلى الراحة قليلاً .. والقت برأسها إلى صدره وشعرت بالهدوء يدب في أوصالها والاطمئنان يجري في كيانها ، علماً بأنها كانت على غاية من التعب وقد أخذ منها الارهاق كل مأخذ .. وخفت حدة سعالها وتلاشى بعيداً :

وتذكرت قول « إيريث » لها يوماً من أن الارتفاع الزائد سيكون عنصراً سيئاً لإصابتها بنوبات السعال ، فلابد إذاً من أن الارتفاع هو السبب الذي أثاره فيها ، ثم غابت تلك الفكرة عن مخيلتها ثانية في حين نظرت الى كوين فإذا بيديه قد أحكمت الطوق حولها وكأن الأمر قد خرج عن إرادته ، ووجدته يرتعش وحاولت أن تسمر ناظريها وتلملم شتاتها أكثر فأكثر .. وحاول بعد قليل نزع يديه ممسكاً فقط بيدها بهدوء . وفيما كانت يداهما متماسكتان بإحكام كانت نسائم ذاك الجبل العليلة قد فعلت فعلها في إثارة مشاعرها ، وحلّق كل منهما بعيداً في أعماق ذاك الأفق البعيد .. لكنه لم يرتجف ويرتعش جسده من أجل لاشيء .. « سألت بليس نفسها » .. ثم قالت : لابد لنا من النزول لنلحق بالقطار ثانية ؟

وكان من العسير عليهما أن يذهبا سيراً على الأقدام لبعض الأمكنة

القليلة المتبقية .. ومن هنا عمل كوين على أن يقودها عبر الطريق الى نهاية خط الحافلة ببطء شديد كي لايعمل على إزعاجها أو إرهاق أنفاسها وهي تسير خلفه ..

وبدا كوين هادئاً غارقاً في الأفكار ، وظنت بليس حينما صعدا للحافلة أنه ربما ضاق ذرعاً بها .. وسيطرت عليها تلك الهواجس كلية فيما كانوا ينزلون مايقرب من ربع المسافة لذاك الانحدار الرهيب حينما علت صيحة مدوية من أحد الصبية البيروفيين والذي ظهر فجأة ليجذب انتباههما .. ولم يدر كوين ما الذي حدث في بادىء الأمر ، حينما بدأت الحافلة تنحدر ببطء شديد وكأنه يتفحص بإحكام كل ثنية أو إنحناءه لذاك الطريق الوعر الذي قلما تجاوز عرضه الشعرة ، لذلك كان على أولئك الصبية أن يطلقوا صيحاتهم المدوية عبر تلك الطرق لكي يقوم السائق بالانتباه أثناء النزول ونسيت بليس آنذاك ماكان قد رواداها بشأن كوين من أنه مل صحبتها حينما أجابها عن سؤالها بوجه يوحي بالرضى والسرور ..

ربما تكونين على حق .. وما أن سمعت جوابه وارتاحت لملامحه حتى كاد قلبها يقفز من بين جنبيها طرباً لأن الأمر إن كان كما يبدو عليه الآن فلأنه لم يمل صحبتها ولأن هناك شعورا داخليا ينادي من أعماقها أنها تحبه حقاً وقد ملك عليها الفؤاد كله ..

ووصلت الحافلة إلى محطة القطار التي بدت أكثر حيوية ونشاطاً بفعل كثرة السواح وجموع التجار الذين ضج بهم المكان كما كان حافلاً بالألوان الزاهية والأطفال والكلاب الضالة ومفعماً بالمناظر والأصوات والتي جعلتها تقف أمامه مذهولة مشدوهة ، وكذلك كان حال

صديقها ، فيما كانت يده تتعلق بمرفقها آخذاً بها إلى غرفة إنتظار المحطة لتناول بعض المرطبات والشطائر والذي بدا كعلبة السردين من شدة ، ماكان الناس يكتنفوه من كل جانب .

وغادر القطار المحطة في الخامسة بعد الظهر ، وبما أنها جد مرهقة ومتعبة وخوفاً من احتمال تكرار نوبة السعال الآنفة فقد أخلدت بليس إلى الراحة التامة أثناء العودة ، لكنها تذكرت أن هذا كان ماقامت به وهي مريضة للغاية ، كلا : انني بصحة جيدة ، وما هذا الذي أصابني إلا بسبب ذاك العلو الشاهق والذي يمكن أن يصيب حتى الاصحاء أحياناً ..

وبداكوين مسروراً وهو يجلس بهدوء إلى جانبها وعاودتها فكرة أنه ضاق بها ذرعاً مرة أخرى ، لكنه يبدو منشرح الصدر ومنفرج الأسارير ، وشعرت بالنعاس يدب في أوصالها ويثقل جفنيها ويخيرها على إغلاق عينيها ، فيما كانت تراودها فكرة معاناته من حب بالوما صديقته .. وحاولت أن ترمي بتلك الأفكار جانباً ، ولاتود إعادة التفكير بها ، ولم تشعر بالراحة لهذا ، ولطالما أرّقها كوين وحبه الماضي ، لكنه أخذ بيدها بين كلتا يديه في تلك المدينة ولم يكن هناك مايستدعي ذلك وكان لطفاً منه حقاً ان يدعها ترتاح على صدره حتى غابت عنها تلك الأزمة وغابت في سبات عميق .

ومضى الوقت ولم تشعر بليس إلا ويدها تتلمس شيئاً صلداً قاسياً ثم صوتاً يقول بمنتهى الرجولة واللياقة قرب أذنها حاولي أن تتمتعي بنوم هادىء !

فتحت عينيها . آه . أسفة جداً .

واعتذرت أشد الاعتزار وهي ترى رأسها على كتف كوين ممادعاها فوراً لأن تجلس منتصبة .

كلا .. لا تكترثي للأمر ، فأنا طوع بنانك متى شئت ..

كيف تشعرين الآن ؟

وألقت بنظره إلى ساعتها .. لقد نمت ساعتان ، وإن كان الأمر كذلك فقد عملت على عدم تحريكه من مقعده طيلة تلك المدة ...

ـ هل تعلمين أنك نمت تشخرين ؟

ـ أنا ، كلا لا أفعل ذلك مطلقا !..

في الواقع ، لا . وشعرت أنها تحبه حتى وهو يغيظها ، وألقت بنظرة إلى النافذة لترى أن القطار ينطلق عبر أحد شوارع احدى القرى ، وأنها بالإضافة إلى حبها له حينا يغيظها فهي تحب بلده ، إنها قطعة سحر بديعة وقد وقعت في حبها إلى أبعد الحدود وأخذت بلبها ، كما كان الحال مع أختها . وكان عليهم بعد قليل النزول من القطار كي يستقلوا الحافلة من أولا نتيتامبو ، ثم يعودوا أدراجهم من حيث أتوا ليصلوا إلى كوسكو حوالي التاسعة مساء ..

وفرغت الحافلة من المسافرين . وظهر عليها السرور والغبطة برفقة كوين ، ذاك الشخص الذي يعرف طريقه جيداً أينما كان .. وعمل على تأمين سيارة لنقلهما إلى الفندق ..

إن ماكوبيكوشيء مختلف تماماً .. قالت بليس وهي تضغط زر المصعد وحينا وجدت نفسها حبيسة معه وقد أخذ الخجل عنها الشيء الكثير ، وتعجب لذاك الشعور الطاغي الذي ملك عليها حسها وغدا لايفارقها لحظة واحدة ، وهي التي كانت تظن بأنها قد رمت بالخجل

جانباً منذ سنوات .. ياإلهي ماباالها الآن وقد وجدت نفسها مغمورة به ؟! ..

وظنت أن خجلها واحمرارها قد تلاشى ما أن فتح باب المصعد وبدأت تسير عبر تلك الممرات الطويلة لذلك الفندق الذي يقيم فيه .. لكن ذلك لم يحصل البتة بسبب توقف كوين معها قليلا قبل آن تعمل على دخول غرفتها مقترحاً إن كان بإمكانه أن يلاقيها في غرفة الطعام بعد حوالي الربع ساعة .. ولم تجد الكلمات المناسبة لترد عليه بالموافقة لكن قلبها رقص طرباً حينما بدت كلماته كالأغنية الحلوة ترن في مسامعها ومع هذا أجابت :

أنا لا .. لست جائعة .. « ودون أن تفوه بكلمة واحدة » قالت :

« مساء سعيداً » .. والذي اعتبره سوء تصرف منها إلى أبعد الحدود .. وسارت بسرعة لتدخل غرفتها .

واندست بين طيات السرير مع علمها بأنها ليست جائعة حقاً لكن عليها أن تكون محفوفة بالغبطة بعد فترة قصيرة معه وسيكون بمقدورها كذلك تناول بعض الطعام .. لكنها أطفأت المصباح وخلدت للنوم وقد شغلها شيء آخر مختلف عما كانت تخطط لتزوره كل يوم .. إن ماكوبيكو مدينة رائعة حقاً وإن كوين كان رفيقاً ممتعاً رائعاً أيضاً .. وأن هذا اليوم كان أفضل يوم حرٌ في حياتها . لكن سرعان ماداعب النوم اجفانها واستسلمت له في سبات عميق من شدة الإعياء .

المقطع الخامس

بالرغم من أن بليس نامت نوماً هادئاً وعميقاً سحابة ذاك الليل ، فقد استيقظت ولازال التعب يلفها ، ورغم استيقاظها المتأخر عن العادة ، فقد كان عليها أن تجر أذيالها غصباً لتنهض من الفراش ..

وحاولت بعد استعدادات الصباح أن تركز تفكيرها حول ماترغب في زيارته .. لكنها سرعان ماوجدت أن رغبتها تلك والتي كانت مركزة في يومها السابق على مدينة أولانتيتامبو قد تلاشت ..

ونزلت بهو الفندق لتناول الفطور حينما أدركت بأن كوين كان على وشك الانتهاء منه وهو يحتسي فنجانا من القهوة .

منذ أيام قليلة خلت كانت تحاول جاهدة تجاهله والجلوس في ركن في منأى عنه ، أما اليوم فقد بحثت عيناها عنه ، وهي التي كانت وحتى البارحة تكن له كل الكراهية ، أما اليوم فقد وجدت نفسها معجبة به غاية الاعجاب . ووجدت خطاها تسرع للاقتراب من طاولته ، وهو يقف لاستقبالها ، فبادرته بتحية الصباح باللغة البيروفية .. وفيما كان يرد تحيتها سألته :

هل لي أن أشاركك الجلوس ؟

وما كان جوابه إلا أن أخذ كرسياً وقدمه لها مبتسماً ، وجلسا

معاً ، وعملت على تناول كأس من عصير الفاكهة ومن ثم كوب من القهوة ، واستغربت عدم تعليقه على ذاك ..

يبدو أنك لست جائعة ؟ سألها كوين بعد قليل وفي عينيه يجول سؤال آخر .

إن تلك العادة التي تدعو الفرد في بعض الأوقات إلى عدم الرغبة بتناول الفطور ماهي إلا شيء حديث أو موضة العصر ؟ .

كلا ليس الأمر هكذا .

ياللأسى ، فبعض الناس تأكل بنهم عند تناولهم طعام الفطور ، في حين آخرون لايتناولون شيئاً .. وحاول أن يوضح لها أنه « منذ مرضك ..... » .. ولم تستطع بليس تحمل هذا فصرخت ، وهي لاتود ذكر ذاك الأمر منه أو من قبل أي شخص آخر ، لتقول :

ـــ هناك الكثير من الناس لايتناولون طعام الفطور وأن البعض يعتقد أنه من الأفضل ألا يتناول شيئاً قبل طعام الغداء ، على أية حال .. وهنا قاطعها كوين قائلاً :

لكنني رأيتك تتناولين قطعة كبيرة من اللحم بالاضافة الى البيض في باكورة أحد الأيام .. وحدقت بليس في عينيه محاولة الوثوق فيما يقول وهو يشيح بناظريه ليتناول ماكان النادل قد أحضره ..

« حسناً » ، وقالت بإصرار : انني لا أشعر بالجوع هذا اليوم . وجلس صامتاً لاينبس بشيء اللهم إلا الإمعان في ذاك الوجه الملائكي الذي يجلس إلى جانبه وبواقع أنها غدت تحبه وقد ملك عليها الفؤاد كله منذ البارحة فلم تظهر الضيق أو الانزعاج من كلامه بل راحت تبدي الأعذار لتصرفها حينا لاتشعر أحياناً بالجوع وخاصة حينا تتناول وجبة

عشاء دسمة . لكنه ذكّرها بقوله محتداً منها :

ـــ انك لم تتناولين شيئاً مساء البارحة ؟

وفيما حاولت التخلص من هذه الورطة ، ولأنها فعلاً ما كانت لتشعر بالجوع وقتها ، فقد قررت أن تتوقف عن هذه التساؤلات لأنها لاترغب فيها مبادرته بالقول :

ـــ حاول أن تتفهم الأمر .. « وصممت ولم تتم الكلام » ، فقاطعها كوين :

ـــ ما الذي أصابك ليلة البارحة ؟

فردت بحدة :

ـــ إن رغبت في الجواب فاعلم بأنني نمت نوماً جيداً . وعاد ليرمقها ثانية ، ويرمق تلك العينين وقد أصاب هدفها في قلبها .. وجالت عيناه في عينيها وفي تعابير وجهها ..

ـــ كم أنت جميلة .. لاشك أنك تدركين ذلك ؟ .

ولشد ما دهشت حينما بدا جاداً في كلامه فقالت :

ـــ إن كنت تقول الحق فلابد انني نمت نوماً جيداً مساء البارحة ، ولعل هذا يكفي .. وتناولت آخر قطرة من قهوتها وبدأت تجمع مابحوزتها لتهم بالمغادرة ..

ـــ لقد تأخرت قليلاً عما ينبغي هذا الصباح .. محاولة الاستمرار في حديثها معه بشكل طبيعي ومؤكدة حماسها للذهاب ..

على أن أذهب الى المكتب لأرى الاجراءات اللازمة للذهاب إلى أولا نتيتا مبو . وحينما وقفت مودعة وجدت كوين يلتفت يمنه ويسره ومن طرف إلى آخر .

ماالذي يجعلك تقوم بهذه الحركات ؟

لقد قمت بما فيه الكفاية وأنت تتجولين هنا وهناك بحثاً عن المناطق الأثرية ، لكن عليك الخلود للراحة التامة هذا اليوم .

ونظرت إليه بذهول وهي لاتكاد تصدق ماتسمعه ، وظلت فترة على حالها لاتدرك ما إن كانت تسمع هذا حقيقة فأجابته بدهشة بالغة :

ـــ ماذا تقول ؟!

وفيما كان عقلها يحاول تفهم هذا الرجل ، هذا الصديق لزوج أختها ، وكيف يأمرها بفعل هذا وترك ذاك ، والذي من الواجب أن يقول لها ذلك لا أن يأمرها بفعله ..

وزاد من حيرتها أنه لم يحاول التراجع مرة عما يتفوه به بغض النظر عن استغرابها لما بدر منه وكأنه في عمله ذاك يحاول التأكيد لأسماعها ماكان يقوله ..

ـــ امعني النظر في وجهك ؟ في تلك العينين الكبيرتين وذاك الوجه الشاحب . لا أظن أن ...

ـــ لقد كان لي دائماً عينان كبيرتان ووجه شاحب .. أجابت بليس وهي تحاول التدخل فيما يقول ، ثم عمدت الى الصمت ، والأفكار تترى في مخيلتها عمن يأمرها كي تستريح هذا اليوم .. وعاد ليقاطها من جديد :

ـــ يالك من عنيدة ! ..

ـــ كلا ، أبداً لقد قرأت الكثير عن البيرو قبل مجيئي ، ولدي الكثير من الأماكن التي أرغب في زيارتها قبل أن ...

كم مضى على اقامتك هنا ؟ « سألها كوين محاولاً التدخل ثانية » .

ـــ تسعة أو عشرة أيام على ماأظن .

ـــ وكم يوماً خلدت فيها الى الراحة في هذه المدة ؟

ياللتعاسة ، وهل تملك وقتاً كافيا لتستريح وهناك العديد مما تود مشاهدته ، وبرأيها أنه يمكن الخلود الى الراحة حينما تعود أدراجها إلى انجلترا ثانية .. فأجابته :

ـــ ليس لدى الوقت الكافي هنا .. « وهي تحاول إفهامه ذلك » .

ـــ عليك أن تفكري بأنك كنت طريحة الفراش خلال الأربعة أشهر الماضية محاولة أن تصرعي ذاك المرض الذي ألم بك . (قال ذلك لتدرك تماماً أن زوج أختها قد زوده بالمعلومات الكافية عن كل مايتعلق بها) فهل تعتقدين أن من الحكمة ألا تتالي فترة من الراحة .

« حاول أن تفهم » ، أجابت بليس وهي تحاول أن تسلك سبيلاً آخر وعجبت لماذا عليها أن تقف لتناقش أمر كهذا في الوقت الذي لم يكن هناك مايستدعي ذلك ، ولتذكرها برقته ولطفه الذي بدر منه البارحة حينما أصابها السعال فالتفتت ترد عليه :

ـــ لدي مايقارب العشرة أيام أخرى قبل أن أعود إلى ليما لأستقل الطائرة إلى انجلترا .. وأنا مازلت قاصرة على زيارة نصف الأماكن التي يتوجب على رؤيتها قبل مغادرتي . وقد أخذت عهداً على نفسي لزيارة مناطق في الشمال والجنوب بالاضافة إلى اريكوبياونساكا وما إلى ذلك ..

ـ يبدو أن لديك برنامجاً حافلاً ؟

قال كوين وعيناه لاتكاد تفارقها لحظة .

فابتسمت ، وقد كان عليها قول ذلك ، ولم تتطرق بالتالي إلى ذكر زيارتها لدوم وإيريث في « جهارا » قبل مغادرتها ... وحاولت جهدها إفهامه بأنها ملك نفسها وليس من أحد أن يدلي لها بأقواله أو يسيطر عليها بأفعاله ..

ـ وكما ترى ، ليس لدي الوقت الكافي لأستريح قبل ذهابي للبيت .

وابتسم الاثنان وهي ماتزال تشعر بميل شديد نحوه حينما فاجأها ثانية :

ـ إذاً أرى أنك لازلت مصرة على الذهاب إلى أولانتيتامبو ؟ هذا اليوم ..

ولم تعمد للرد ، وهي بالتالي لاترغب في الخروج تماماً وفي الصعود هنا والنزول هناك كما كانت قد قرأت عن تلك المدينة ، ولكنها لاتستطيع الآن أن تبرر له عدم ذهابها إلى ذاك المكان .. فأردفت تقول :

ـ انني مصممة تماماً ، وأتوق للوصول إليها .. ولبضع ثوان ظل كوين يتأملها وابتسامته لاتفارق شفتيه ، ثم وجد نفسه يقول :

ـ ياللأسف ،

ـ أتقول : ياللأسف ؟! « وهي تهز رأسها جانباً » .. أكاد لا أفهم معنى لهذا التصرف . وفيما هو يبدي جدية في نبراته قال :

ـ بما أنك مصرة على زيارة تلك المدينة فإنني مصرٌ سنيوريتا ، على ألا تذهبي .

ـ أنت مصرٌ ؟ على .. ماذا ؟

وبدا الغضب والانفعال على وجهها ولم تنس أنه ناداها سنيوريتا ثانية .. وبدأت ثورتها تذكرها بما مضى من جدال ونقاش معه .. وما أن أخذت نفساً عميقاً حتى شعرت بأن شيئاً قد آثار حنجرتها وأجبرها على السعال ..

ومن حسن الحظ أنها لم تدم طويلاً ولم يبدُ أنها كانت كتلك التي اعترتها البارحة في ماكوبيكو .. لكن سعالها هذا كان كافياً لكل مارغب كوين بسماعه منها . فإذا به بكل خشونة يقول :

ـ ألست محقاً في إصراري على عدم ذهابك ؟

ـ لاتملك الحق في أن ترغمني على فعل أي شيء ، أجابته بغضب وحدة ظاهرين .. وكيف تجرؤ

كيف تجرؤ .. ؟

ـ مادمت في هذا البلد فأنت تحت رعاية زوج أختك ..

ـ انني لم أسمع أي شيء كـ ...

ـ لقد كلفني زوج أختك برعايتك و ... لحظة من فضلك ..

وحاولت جاهدة أن تتكلم بصوت منخفض ، لكن كوين والذي عين نفسه كراع جديد لها غير مرغوب فيه ..

لم يتح لها الفرصة ، وقد كانت لهجته تنم عن الحدة كلهجتها .. ولم تفته أي فرصة ليخبرها بكل جدية إنك لست حتى ولا واحدا بالمئة مؤهلة لتستأنفي تلك الرحلات ، ولكنك مادمت كما يبدو مصرة تماماً وترفضين الأخذ بنصحيتي كي ترتاحي .. النصيحة .. هل هذا ماتقصده ؟ .

باللسخف ، كيف تكون نصيحة وأنت تأمرني .. وإذا كان هذا صحيحاً ، عليك أن تتركني في أن أتبع نهجاً واحداً فقط .. فأجابها بهدوء ثانية :

ـــ افعلي أسوأ ماتريدين ..!

ورغبت بليس هنا أن تصرخ وتنفجر أمامه ، علماً . منها أنها تعرفه حق المعرفة وبأنه سيفعل هذا ، فقد مالت بجسدها جانباً ، وقالت وكأنها تتهيأ للقتال :

ـــ ماذا بعد ؟! .. « وهنا قاطعها كوين » :

ـــ اعلمي اذاً ما علي إلا أن أتصل بصديقي العزيز وأعلمه حقيقة ما ...

ـــ « إن ماتفعله ينم عن الاكراه والاجبار ، أجابته بغضب لاذاع ولم يفتها بأنها لن تفعل أي شيء يغضب أختها أو يضايقها في أيامها الحلوة السعيدة هذه ، ولتحاول إزعاجها في أنها ليست بصحة جيدة وتقلق مضجعها .. وزفرت من شدة الغضب ، يالك من حقير تافه .. ثم أجابته بغطرسة وتعال :

منذ أن كنت قد خططت أن أزور هذا المكان وأرى دوم وإيريث في أي يوم الآن ، فعلي أن أذهب اليهم غداً .. وظهر كوين وهو يرمقها بنظراته متفحصاً وكأنه مصر على شيء آخر ..

وكادت بليس تحترق لشدة مااعتراها من الدهشة حينما بدت البشاشة على وجهه ، وتراه بلهجة رقيقة عذبة يجيبها :

ـــ عليك إذا أن تقطعي مسافة طويلة جداً إن رغبت في زيارة العريسين الجديدين .

ونظرت اليه بانفعال ظاهر ، فيما بدا واثقاً من نفسه ، وهي التي لم ترغب بذلك ، يبدو أنك تعرف شيئاً لاأعرفه أنا « سألته بليس » ..

ورأت ذاك الحاجب المتغطرس يرتفع إلى الأعلى ، وتضايقت من هذه النظرة التي تبدي عدم الاكتراث ، ومن ثم استأنف كلامه بكل جدية ثانية :

ـــ إن دوم وإيريث قد غادرا البيرو ، في طريقهما إلى فرنسا ؟ كما أخبرني دوم مساء البارحة .

وقفزت بليس مشدوهة تصرخ

« إلى فرنسا » ، وهي لاتكاد تصدق ماتسمع .

لكن لابد من أن يعودا ثانية بسرعة لأن جهارا ستضطرهم لذلك في الفترة المتبقية لشهر العسل ..

واندفعت فجأة وقد تذكرت والدة دوم الفرنسية الأصل ، والسيدة المتزنة الأنيقة والتى كان عليها أن تقطع القناة الانجليزية كي تعمل الحضور لزفاف ابنها في أشي يارنوف ، فسألته بالحاح :

ـــ هل والدة دوم مريضه ؟

وبدا ذلك السبب الوحيد الوجيه لذهابهم المفاجيء ولابد من المغادرة بسرعة كما خمنت بليس ، وإلا لكانت إيريث مضطرة على ذكر نواياها بزيارة فرنسا حينما كلمتها في الهاتف منذ مايقرب من أسبوع ..

وسألها كوين فيما اذا كانت قد قابلت مدام سارموزا ، وفي وجهة تعابير وكان فيها جواب لسؤالها عن مرض والدة دوم وانتظر ليسمع منها إن كانت قد قابلت تلك المرأة ؟

لقد حضرت عقد قران ايريث ودوم ، أجابت بليس ومادام

www.elromancia.com

كوين يدعوها بالمدام فلابد أنه يعرفها . وسألته بليس ، ألم ترغب ايريث في التحدث حين اتصلت مساء البارحة ، ثم بدت وكأنها تذكرت شيئاً .. أظنك قد أخبرت دوم بأنني أقيم معك في نفس الفندق أليس كذلك ؟

إنني لم أتكلم مع أختك حينما تكلمت مع دوم ، ولم أرغب في أن أزعجك حينما كنت قد قضيت نهاراً متعباً واستسلمت للنوم باكراً فقد كان من الأفضل ألا يزعجك أحد .

ورمقته بنظرة ملؤها الضيق ، وكانت على وشك الانفجار كي لايتدخل في شؤونها ..

وأظنك أخبرت دوم بأنني على أحسن مايرام كذلك .. أجابته فجأة والخوف يملأ قلبها .. « لأنني أرى أن لدى ايريث مايكفي كي لاتنزعج من ناحيتي » . وفيما كانت تحدق فيه استعداداً لسماع جوابه غدا غارقاً في تفكير عميق ، ورغبة منه وقد علم مدى ضيقها واضطرابها لسماع جوابه حاول أن يستجر الكلمات من فمه بعد طول صمت ليقول لها بلهجة أقرب منها إلى التهديد :

ــ كلا ــ ليس بعد ..

ــ ماذا يعني ، ليس بعد ؟!

ونظرت حولها فإذا بالقاعة قد خلت إلا من كليهما وأحست بأن كوين بدأ يداهنها برقته قائلاً :

ــ أما زلت راغبة في زيارة أولانتيتامبو ؟ ولم تقو على الصمت وأخرجت زفرة ملؤها الأسى فيما كان يجول في خاطرها كلمة « أيها الأخرق الحقير » .. ثم صمت من غضبها وكدرها ، وتوقفت عن

اختيار تلك الكلمات البذيئة التي كانت تجول في خاطرها واكتفت بقولها :

ــ افعل أسوأ مالديك كونتيترو !

ولم تتفوه بكلمة بعدها ، بينما راح يحدق في بريق الغضب الذي توهج في عينيها الخضراوين الكبيرتين .

ــ إنك ترغبين في اطلاعي على أمر ما ؟

سألها كوين بحذق ولطف وهو مايزال ينظر نحوها وعيناه لا تفارقانها .

هنا ابتسمت بليس ابتسامة عذبة وأردفت :

ــ أود القول أمامك سنيور « ان عليك أن تقول وداعاً لأي تصرف ابتزازي تصرفته معي » ، وأن عليه على الأقل أن يبدي شيئاً من الحذر تجاهها ، وهنا بادرها بقوله بابتسامة مشرقة :

ــ استميحك العذر ، سنيوريتا ، أكاد لا أفهم تصرفك هذا .

فردت عليه بكدر مطبق .

ــ على إذاً أن أفهمك ، ومادام ايريث ودوم قد غادرا البيرو ، فسيكون مضيعة للوقت اتصالك معهما لتقول لهما أي شيء يمكن أن يسبب الازعاج لاريث .

واستندت إلى ظهر كرسيها وكأنها على استعداد للذهاب الى أولانتيتامبو وبأن لها الحق كل الحق في هذا التصرف غير اللائق من سيدة مثلها ..

وانتظر كوين ثوانى معدودة ليعود لمخاطبتها بلهجته الرقيقة الناعمة :

www.elromancia.com

أظنك لاتعرفين بأنني أعلم أرقام هواتفهم في فرنسا ؟ .. وغدا تشدقه بالكلام قد غلبها .

بالهذا السخيف المتعجرف ، واستشاطت غضباً مرة ثانية ، وأدركت بأن معرفته بوالدة دوم ربما قد هيأت له طُرُقاً شتى تمكنه من الاتصال بهم حيثما حلوا . سوف لن تعمل على الاتصال بهم ؟ أليس كذلك ؟ لكن انتصارها الذي لم يدم طويلاً بدأت تلم بعده أذيال الخيبة حينما أجابها :

حاولي أن تجريبني ؟.. كل هذا وابتسامته لاتفارقه « لكم أكره هذا الرجل » .. « قالت بليس » ، وماذا بحق الاله فعلت لأراه وقد وضع نفسه وصياً عليها وراعياً لصحتي ؟! .

ـــ حاولي أن تنظري للأمر من هذا المنظار ؟

ـــ لن أبعد أنظاري عنك وسأحاول جهدي رعايتك كما سبق ووعدت زوج أختك ..

ـــ « إنني لاأرغب مطلقاً أن تبقي عينيك ترقباني كيفما تحركت » ، قاطعته بثورة وعنف متجاهلة مشكلتها الأصلية مع أختها .

أي نوع من الأصدقاء سأكون عليه إن أخلفت وعدي مع صديقي الغالي دوم ، جال ذهابه خارج بلده ، ولرفضك المتكرر للاستراحة والركود في السرير ليومين والذي لن ينجم عنه مايقلق . لكن رفضك الدائم وحُبكُ للمشاكسة هو الذي دعاني الى تركك والذهاب إلى باراكاس ، وحينما رأيتك بصحة جيدة وروح معنوية عالية .

ومن الغريب أنها ما أن فتحت فمها لتتكلم حتى اكتشفت بأن حب الاستطلاع العريزي فيها ورغبتها الملحة في المعرفة جعلتها ترد :

ـــ باراكاس ؟

ـــ نعم إنها مدينة ساحلية ، وهي المكان الذي أسكن فيه كما أخبرني دوم مساء البارحة بأنك لست قوية بالشكل الذي تبديه وهو بالتالي لاينصحك بالاندفاع السريع والتجوال حول المواقع الأثرية طيلة الوقت كما تفعلين الآن .

حقاً ؟! .. « قاطعته بليس »

ألم يكن هذا هو السبب في إصابتك بالمرض في الدرجة الأولى ، وإهمالك لنفسك حينما كنت تخرجين في أسوأ الظروف والأجواء وأدى بالتالي إلى أصابتك بالبرد ثم تطورت الأمور للأسوأ .. وبما أن دوم يشارك اهتمامات زوجته من ألا ترهقي نفسك أكثر مما ينبغي ، لذلك خططت على أخذك معي إلى باراكاس ، لتنالي قسطاً وافراً من الراحة والاستجمام ولتستفيدي صحة ..

وصرخت هنا بليس قبل أن يتم كلامه :

ـــ لن أذهب برفقتك إلى باراكاس .

لكنه أجابها بمنتهى الدقة والهدوء :

ـــ أعدك بأنك ستحبينها جداً ..

ـــ سوف لن أذهب معك ، ولا رغبة لي في الذهاب « أجابته بمنتهى الانفعال والحرارة » .

ـــ لكنك لاتطيقين ، على مأأظن ، ازعاج إيريث ودوم في هذه الاثناء .

www.elromancia.com

ـــ بالسوء تصرفك ! لعله من غير المعقول أن تقول ذلك .

وحاولت تهدئة روعها والتخفيف من اضطرابها فيما أحست أن الأرض تفور تحت قدميها .

لماذا على الذهاب إلى هناك ؟

ـــ لكنني يمكن أن أعدك بألا أعمل على التجوال كثيراً بقية الوقت الذي سأقضية هنا .

وضحك كوين ضحكة تنم عن جاذبية ساحرة وقال :

ـــ إن كنت حقاً بصحة ممتازة ، فلن أحرم روحك المحبة للآثار ، وسأعمل على تأمين رحلة لك إلى خطوط ناسكا .

وظنت بليس أنه لن يقوم بذلك ، وهو ماذكر هذا إلا ليجلب انتباهها من ناحيته ، وماخطوط ناسكا تلك إلا خطوط غامضة مرسومة على حجارة أرض صحراوية بين بالبا ياسكا وبورونا .. وقد قيل بانها رسمت من قبل اناساً مجهولي الهوية منذ حوالي الخمسة آلاف عام وأن أفضل طريقة للاضطلاع عليها ولمشاهدتها بوضوح ، هي في الطيران فوقها بطائرة شراعية على مسافة منخفضة ..

وشعرت بليس بهدير الاثارة يجول في جسدها ونهز كيانها لسماع ذلك .

وتوقفت لحظة ، لكنها لاتود الذهاب إلى باراكاس ؟ أليس كذلك ..

ثم استأنفت القول لتسأل :

هل تقع ناسكا قرب مكان إقامتك ؟

وفيما حاولت المراوغة بقولها ذلك ، شعرت بالتشوش

والاضطراب فجأة ولأنها ولعدم توفر الرغبة لديها بالذهاب والإقامة في بيته . لكن الفكرة في حد ذاتها مثيرة للغاية .. وهنا أجابها :

إنها أقرب إلى باراكاس منها إلى كوسكو ، « وكأن الأمر قد تقرر نهائياً » .. لكن استميحك العذر بليس ، علي أن أذهب لأتدبر الأمر من أجل الرحلة ، فيما جلست دون أن تنبس ببنت شفة من هول الدهشة .. ووقف كوين ليقول لها دون تكلف ، إن رغبت في إعداد نفسك للذهاب فيمكننا أن نكون في باراكاس وقت الغداء ؟ .. ومضى في سبيله . « كلا لن أذهب » .. كانت تتكلم في الواقع مع الهواء فيما كان كوين يخطو حينذاك بعيداً خارج المطعم ..

وبقيت على ماهي عليه مايقرب من الخمس دقائق وهي تفكر ماذا عليها أن تفعل وهي في ثورة تارة وهدوء تارة أخرى . وما أن سكن إنفعالها حتى تصدرت « إيريث » تفكيرها وهي التي تحبها كثيرا ولعلها أغلى مالديها في هذا الوجود وهي بالتالي تعاني كل هذا لكي لاتتطفل عليها وتعمل على إزعاجها .. لكن واقع مرض أمه هو الذي جعلهم يغادرون من « جهارا » بسرعة .. ألم يكن هذا لوحده مدعاة للألم لهم .. ولابد أن لديهم مايكفيهم من المنغصات والمشاكل كذلك .

وإذا رفضت الذهاب معه فلعله سيعمل على الاتصال بهم ويبالغ في اعطائهم المعلومات عنها وعن اصابتها بتلك النوبة البارحة وبإصرارها على الرفض هذا اليوم .. لكنني أظن شدة حساسيته ستعمل على عدم اتصاله بإريث في وقت كهذا . ولعلها لن تجرؤ على الالحاح بالرفض عليه كي لايعمل على الاتصال بهم في فرنسا . وعلى هذا فلن يكون أمامها إلا الاذعان والذهاب برفقة ذاك الرجل إلى باراكاس .

www.elromancia.com

وبدلاً من أن تذهب لتسأل عن سفرها إلى أولانتيتابنو فقد ذهبت في الاتجاه المعاكس ، صاعدة الى غرفتها وسحبت حقيبتها لتضع حوائجها وهي تكرر فيما بينها « ما الذي تفعله بحق السماء ؟ ولماذا عليها أن تجبر بالتصرف هكذا ؟ » وحاولت تهدئة مايجول بخاطرها بأن راحة يومين أو ثلاثة سوف لن يضيرها .

اللعنة عليه ، وعلى وعده لزوج أختها .. ولأن سبب مرضها هو الذي جعله لايفارقها من أجل أن يعمل على رعايتها .. وأطلقت زفرة جادة ، ياله من ابتزاز ، بالنسبة لبرنامجها ومخططها . وحاولت تناسي كل شيء لبرهة وجيزة حيث أخرجت كراسة تحوي بعض العناوين ، لا رغبة بشيء إلا لتحاول ايجاد طريقة تخرج بها مما هي عليه ، ولتعمل على الاتصال برقم أختها في جهارا ..

وأدارت قرص الهاتف لتطلب السيدة سارموزا ، لكن كل بصيص أمل كان قد أخبرها كوين به ذهب هباء حينما ردت عليها مديرة شؤون المنزل قائلة باللغة الأسبانية التي لم تفهم منها شيئاً ولم تستطع أن تجيبها إلا لتحية (غراسيا) أي شكراً ثم أجابتها السيدة بكلمة غراسيا . وأغلقت الخط .

وتنهدت بعمق وحنق ، فقد كانت ترغب لو أن إيريث هناك لتخبرها بأنها على مايرام ، ويمكنها بالتالي الاطمئنان عن صحة والدة دوم حينذاك .. ولدى تذكرها أن ايريث قد أكدت لها أن دوم لن يعمل على أن يطلب من أحد الاهتمام بها فيما لو كانت بصحة وعافية ، وكيف أن دوم يثق بصديقه ثقة عمياء ، فقد تمنت لو أن صديقه العزيز هذا لم ينفذ وعده ليبقى عينيه مفتحة عليها في كل شاردة وواردة . وعَلى

هذا « فما على إلا أن أذهب إلى باراكاس » « قالت بليس والمرارة تجرّح فؤادها » ، لكن الخلود إلى السرير ، كما أشار إليه كوين ، خارج عما ترغب فيه وما تريد تنفيذه .. ومع انتهاء توارد خواطرها سمعت نقراً خفيفاً على الباب ..

ووقف كوين أمامها بقامته الفارهة وجسده القوي ، وعليها أن تقر هذا مهما كانت الظروف ، وقد وضع حقيبة عند قدميه وأخرى في يده وهو ينظر مباشرة في عينيها الخضراوين .

هل أنت جاهزة ؟

لم تكن بليس في هذه الاثناء لتشعر إلا وأنها الخاسرة المتألمة ، ولم يدم هذا طويلاً فيما وجدت أنه من الصعوبة بمكان أن تؤكد وتلعب اللعبة .. وشعرت بأنها لاتقوى على إبتلاع ريقها ، فالتفتت تقول :

ــ هل ستذهب الآن ؟ ..

وهز رأسه واكتفى بذلك دون أن يفوه بكلمة ..

وحاولت تناول حقيبتها .

لكنه كان هو الذي حملها من غرفتها إلى المصعدُ كذلك منه إلى السيارة خارج الفندق .. وحينما اقتربت لتدفع قائمة الحساب من مكتب الفندق وجدت أنه قد أنهى كافة اجراءات الدفع لها وله قبل نزولهما .. وهنا التفتت إليها قائلاً :

ــ يمكنك أن تدفعي لي فيما بعد ..

فأجابته باقتضاب ملحوظ :

« سأعمل على ذلك » .. وهي تقول لنفسها بحق السماء ماذا علي أن أفعل مع هذا الأحزق ؟! ..

www.elromancia.com

وتصرف كوين بمنتهى اللباقة والأدب وهما في طريقهما الى مطار كوسكو .. وفيما كانت تصعد لتجلس في الطائرة حتى راودتها فكرة ما إذا كانت ستشعر بالتعب ثانية .

وجلس الاثنان بانتظار تعليمات برج المراقبة ، ومن ثم الإقلاع وهي ماتزال تتصارع مع ماكان يخامرها وبسبب قسرها على الذهاب معه في الوقت الذي كانت تتمنى فيه أن تكون مسؤولة عن نفسها ولو مرة في حياتها .

وما أن حطت الطائرة في بيكو حتى كان على بليس أن تدرك بأن كوين لابد وأن يكون رجلاً غنياً حينما شاهدت امتيازاته في الطائرة لكنه بدا واضحاً أنه على غاية من الثراء وهي تشاهد سيارته الليموزين والتي كانت تقف عند المطار بانتظار عودته ..

وجالت ببصرها حينما كان كوين يقود سيارته لتترك ما بيكو خلفها ولتكون بعد قليل في باراكاس .. وسرعان مالاحظت الفرق الشاسع في ساحلها الرملي وبين ماكانت عليه كوسكو المدينة الداخلية ..

وما أن وصلت السيارة إلى احدى الضواحي حتى أوقف كوين سيارته عند بوابتين كبيرتين واستأنف قيادته عبر مدخل ممتلىء بالأشجار الوارفة العالية من كلا الطرفين ثم لتقف أمام بناء فخم مؤلف من طابق وحيد ..

وما أن حط قدمه على الأرض ، حتى فتح الباب الخشبي الرائع للمنزل ليسرع إليه رجل خادم لاستقباله .. وبعد حوار قصير فتح الرجل صندوق السيارة وحمل الحقائب داخل المنزل فيما توجه كوين

ليفتح الباب المعد لاستقبال الضيوف ..

وما كان على بليس هنا إلا الرضوخ والقبول بالأمر الواقع والنزول من السيارة ، واقترب كوين منها بكل لباقة وأدب ليقول :

ـــ آمل أن تستمتعي بضيافتي ؟

ورمقته بنظرة وكأن لسان حالها يقول :

سوف لن أقيم كل تلك الفترة لأعمل على ذلك .

www.elromancia.com

المقطع السادس

لقد كان اليوم جمعة ، وقد أشرقت الشمس وملأ ضياؤها الأركان حينما استيقظت بليس من فراشها وجلست تحدق فيما حولها ، إلى تلك المفروشات الأنيقة والطنافس المنتشرة والتي أصبحت ملكها منذ يوم الثلاثاء . وأدركت فجأة بشيء من الصدمة بأنها لا زالت في بيت كوين منذ أيام ثلاثة ! ..

ونهضت وهي تفكر بأن عليها ألا تبقى هناك أكثر من هذا .. وأن عليها الاصرار بأنها نالت قسطاً من الراحة حسب مقترحاته وبقيت في ضيافته أكثر مما ينبغي .. ولم تستطع الإنكار بأنها كانت متعبة ومرهقة إلى أبعد الحدود وأنها في الواقع كانت بحاجة إلى الخلود ، إلى الهدوء والسكينة ..

وما أن بدأت تشعر بالحيوية والنشاط يدب في كيانها حتى راودتها فكرة التجول من متحف الى آخر .. والشيء الغريب حقاً الذي خطر لها وهي تصفف شعرها الخمري الزاهي هو ما تذكرته منذ نعومة أظفارها ولعها بالآثار والذي كانت تقرأ وتنام وتحلم في إطاره منذ ما ينوف على الخمس سنوات ، كان شغلها الشاغل في حلها وترحالها ، وراعها ماشاهدته في بيت كوين ، مما يحتم عليها الاطلاع وإشباع

غريزتها منه .. لقد كان بيتاً واسعاً .. وتعرفت ذاك النهار على بعض الأشخاص الذين عملوا داخله .. كانت هناك مديرة لشؤون المنزل ، بالإضافة إلى وجود شابة صغيرة السن تدعى « ليا » والذي ظهر أنها كانت تقوم على رعايتها وعلى اتصال دائم معها ..

وفيما كانت بليس تزهو بردائها الأخضر الفاتح لتغادر غرفة النوم ، قامت بالسير عبر ممرات طويلة ثم تلفتت يمنة لتدخل قاعة كبيرة حيث كان الطعام بانتظارها .. وبدا أنها قد تأخرت عن موعده عما ينبغي لأن كوين كان يتناول طعامه ، ورفع ناظريه إليها حال دخولها ، فابتسمت له وأحست بالراحة تدب ثانية في أوصالها وأن كل ثورتها وغضبها عن فكرة ابتزازه لها قد تلاشت بعيداً .. صباحاً سعيداً . قالت بلباقة وحبور حيث جلست فيما سمي منذ قدومها بمقعدها .

وما أن فعلت ذلك حتى دخلت مديرة شؤون المنزل بفنجان من القهوة مع قطعة خبز محمصة .

شكرتها بليس بلغتها البيروفية وهي تشاهد عيني كوين لا تفارقانها كذلك وهي تصب لنفسها كوباً من القهوة .. ورفعت عينيها لتتلاقى مع عينيه وبدا كل واحد منهما يتفحص الآخر ليتبين مايجول بخاطره .. وسرعان ما علق كوين قائلاً

ـــ لا حاجة للسؤال عن صحتك هذا الصباح ! ..

وإرتسمت بسمة فاتنة على شفتيها ثانية ، ولعلها هذه المرة لم تشعر بالضيق من وجوده وهو يرمقها بنظراته وليتأكد من حالتها الصحية ..

ـــ « كلا ليس هناك حاجة لتسألني » ، أجابت بليس ثم أضافت :

ـــ كما ترى ، أكاد أنفجر من شدة الصحة .

وشاحت ببصرها بعيداً لتناول قطعة من الخبز ووضع شريحة من الزبد ، حينما خطر لها فكرة عادت بعدها للتزلف بقولها :

ـــ في الواقع ، يجب علي أن أعتاد هذا اليوم .

وحينما كانت تتابع بالقول بأنه قد وفي بوعده تجاه صديقه « دوم » بعد أن استراحت لبعض الوقت وعمل على رعايتها كما ينبغي حتى أوشكت على أن تشكره بلباقة لحسن ضيافته حينما رأت تعابيره قد تغيرت وقد فوجيء بما يسمع ..

ما الذي ذكرك بهذا ؟ .. وما الذي خطر ببالك ؟ أنت ..... أنا ..... وحاولت التركيز في ألفاظها حيث قالت :

ـــ أود أن أقولها صراحة :

لقد عقدت العزم على الإقامة هنا لفترة قصيرة .. وأنا .....

قاطعها كوين عندها قائلاً :

وهل تعتبرين ثلاث ليال في منزلي مدة طويلة ؟

وفيما بدل الحبور يتلاشى من وجهه ليكون أكثر صرامة وصراحة .. وهي التي لا ترغب منه أن يكون كذلك ، بل رغبت منه العودة إلى ليونته وطراوة ألفاظه معها .. فأجابته :

ـــ إن الأمر ليس كما تقول . لكن ما دام السبب الوحيد الذي جلبني إلى هنا هو أنك .. تظن أنني بحاجة إلى الراحة لفترة من الوقت لكنني أشعر بأنني سألقي بترحيبكم عرض الحائط إذا .....

وكان على كوين هنا أن يجيبها بدقة قائلاً :

يالك من إنسانة حساسة للغاية ، ولم تعمد « بليس » أن تنظر

www.elromancia.com

إليه مطولاً حتى تابع قوله :

ـــ هل تعنين بهذا أنك أقمت لدينا أكثر ما ينبغي حينما أتيت بك إلى بيتي ؟! ..

أنا ..... ولم تكن لتدري ما الذي ستقوله ، فيما كان غضبها وثورتها ضده وطريقته في حصوله على ما يريد قد تلاشت نسبياً ، ولقد كان من المؤكد ألا يرفض أي شخص العيش في ذاك المكان الرائع .. ولم تستطع في النهاية إلا الإقرار بالحق في أنه لابد على الشخص أن يكون دون إحساس إن لم يستمتع ليس فقط بمنزل كوين ، ولكن بالموقع الرائع المتميز الذي كان يشرف فيه على أشجار الدلقة والأوكا ليبتومي والنخيل والأرز ، كما كانت خلفية البيت تطل على شاطىء المحيط الهادىء .

ـــ وهل هذا يعني أنك ترغبين بالاقامة معي فترة أطول ؟ . سألها كوين فوراً .. وأدركت وهي تنظر إليه بأن الفكرة تروقه جداً .

وأشاحت بوجهها عنه مدركة بما أنه يلم باللغة الانكليزية جيداً فما كان عليه أن يقول « تبقي معي » بل كان من المفورض أن يقول عليك بالبقاء في بيتي مدة أطول ، وهنا ذكرته بقولها :

ـــ لازلت في بلدك ومن الواجب أن أزور أختي وأن أرى بالتالي الغريب من الآثار والتي لم أستطع إلا القراءة عنها حتى الآن .. وبما أنني في أحسن صحة الآن ..

قاطعها كوين قائلاً :

ما رأيك في الذهاب إلى ميوسودي سيتوجوليوس هذا الصباح ؟ إنه متحف قريب صغير ، وبما أنني قررت أنك قد تجولت بما فيه الكفاية

لتعملي على مشاهدة كل شيء دفعة واحدة ، فلا ضير أن تبدأي اليوم برؤية مكان صغير كهذا ..

وانتبهت « بليس » لقوله « قررت » ، فلو أنه لفظها قبل أيام ثلاثة لكانت قد قفزت إلى عنقه لتخنقه .. أما اليوم فالأمر جد مختلف وقد زال عنها الغضب إن لم تقل قد اختفى دونما رحمة .. وليس هناك من ضرورة ليذهبا للتجول بالسيارة إلى ذاك المتحف من أجل مصلحتها ، فسألته :

ـــ ألن تذهب اليوم للعمل ؟ علماً بأنه كان قد ذهب إلى المكتب في اليوم السابق والذي قبله تاركاً إياها لتنعم بالراحة التامة ..

ـــ وهل تودين مني العمل طيلة الوقت ؟ .. ثم انطلقت منه ضحكة رنانة فيما كان قلبها يكاد يقفز من بين جنبيها وقد حاولت المستطاع عدم اظهار ماكان يعتريها ..

ثم أردف يقول :

ـــ علي أن أقوم بمكالمة هاتفية أو إثنتين ومن ثم سنعمل للذهاب إلى ذاك المتحف بعد ما يقرب من الساعة .

وحاولت بليس العودة للغرفة بعد تناولها الطعام لترى تلك الشابة الصغيرة القائمة على خدمتها قد أعدتها ثانية على أفضل تنسيق كما كانت عليه سابقاً .

ولعل الغريب في الأمر هنا أن إندفاعها ورغبتها في الذهاب لذاك المتحف لم يعد كما كان ، لأن ما تراه في عين قلبها الآن ماهو إلا كوين وابتسامته الطاغية .. وفيما كانت تبحث عن سبب إختلاج قلبها بهذه الحدة والعنف لسماعها صوته لم تدر لذلك جواباً منطقياً مقنعاً ، علما

بأنها حاولت المستحيل ..

وخرجا معاً إلى ذاك المتحف ، وتجولت فيه مايقرب من النصف ساعة مأخوذة اللب ما كان يحويه من ذاك الذخر الثمين من الأعمال الفنية الخشبية والفخارية بالإضافة إلى المنسوجات والتي مازالت حتى يومنا هذا تنتج فى باراكاس .. ونظراً لصغر حجمه فقد كانت النصف ساعة شبه كافية .. واقترح كوين بعدها أن يعودا أدراجهما إلى منزله .. وفيما كانا في طريق العودة قال :

ــ لقد أخبرتني مديرة المنزل بأنك تأخذين حمام سباحة في البركة بعد ظهر كل يوم .. ؟

ــ ذلك لأنني لا أحب السباحة في البحر ، أجابته « بليس » .

ــ ربما أنزل للسباحة بعد ظهر ذلك اليوم ، وسيكون بإمكانك أن تجربي البحر إن أحببت .

ــ « أشكرك » قالت وهي تنزل من السيارة لتقوم بالصعود إلى غرفتها .. وفيما كانت تغسل يديها ألقت نظرة على وجهها بالمرآة ووجدت نفسها تُمعن النظر والتفحص في ملامحها ووجهها بكل دقة وقد حدا بها الأمر لتذكر أشياء كثيرة مضت ، بعثت فيها الإثارة والنشوة ، لكن الإثارة الآن التي بدأت تغزو قلبها لا من أجل هوايتها واشباعها وولعها بعلم الآثار بقدر مايتعلق الأمر الآن بكوين كونيترو .

لا شك أنني مفتونة ومغرمة به ، أليس كذلك .. ثم تساءلت بانفعال ظاهر : إن الفكرة بحد ذاتها مخيفة ، ولم تكن يوماً متيمة بأحد ، ولا يتوافر لها معلومات واضحة لإرشادها ، كما أنها لم تشعر بالعصبية

والإثارة تلقاء قبل هذه الفكرة ، بل رغبت في التأكد بأنها من أصلها لابد أن تكون أمراً عارضاً سخيفاً .

ونزلت من غرفتها وهي مقتنعة تمام الإقتناع بأنها مادامت قد برئت جسمياً مما كان قد أصابها فلابد لها من الناحية المعنوية أن تلقي نظرة عامة على ذاك البلد ..

والتقت بكوين أسفل ، الذي بادرها على الفور قائلاً :

تبدين بصحة ممتازة .. حينما دخلا قاعة الطعام التي كانت تضج بمختلف أنواع اللحوم والخضار والسلطات ، لكن بليس لم تتناول منها إلا النذر اليسير ، وردت لتجيب كوين :

إنني بخير .. إنني في الواقع كذلك ، وأردفت تقول برقة متناهية .. ألا ترى بأنني صغيرة الحجم ، لهذا يكفي ، وضحكت وضحك كوين .. ولم يعلق شيئاً على عدم تناولها إلا القليل .. وعمد هو بالتالي على تناول بعض السلطة ثم سألها عن رأيها فيما رأته في متحف ذاك اليوم وما أعجبها به .

بعض مضي مايقارب الساعتين كانت بليس في ثوب السباحة وقد تجاهلت رغبتها في الذهاب هذا اليوم للسباحة في حوض ذاك البيت لتشق طريقها بين أزاهيره وأشجاره ولتصل إلى شاطىء المحيط .

كان الشاطىء يمتد عبر الأفق الفسيح وقد تركت بليس خلفها تلك المروج الخضراء المزهرة والممرات المكتنفة بالأشجار لتبدأ السير على الرمال .

لقد بدأت بالسير على أرض كوين هذه منذ البارحة وهاهي اليوم تجد نفسها وقد رمت بحذائها البحري لتذهب إلى ذاك البناء الخشبي

الذي كان يشبه البيت الصغير ، في مواجهة الشاطىء حيث عملت على الركون إليه لبعض الوقت وهي تتأمل ذاك البحر الشاسع الواسع آملة أن يكون كوين لم يفكر بأن عليها انتظاره قبل أن تنزل إلى الماء .. وفجأة سمعت صوتاً أثارها ورمت بنظرة فيما حولها فإذا به أمامها .

إذاً هذا هو السبب في أنه لم يجبني أحد حينما طرقت باب غرفتك ؟

وفيما أخذ يدور حول ذاك البيت الصيفي الصغير ليدخل إليه شعرت بليس بالخجل يدب في أوصالها ثانية .. وحاولت إنكار مايجول بخاطرها وبدا كوين وقد ارتدى لباساً رياضياً أنيقاً ومنشفة حول أحد كتفيه .

يبدو أن البحر ينادي ، قالت بليس وأسرعت بخطاها إلى كوين ووقفت إلى جانبه .. ولعل هذه الحركة قد جعلت قلبها يختلج أكثر فأكثر ولكنها حاولت متابعة المسير بعيداً قليلاً لشعورها بأن بعدها عن ذاك المنزل هو أفضل من وجودها بداخله .. ورمت بالمنشفة جانباً واقتربت من حافة الماء ، وحاولت القيام ببعض الحركات العادية اليدوية برقة دون عناء داخله فيما أخذ كوين يسبح بالقرب منها أولاً ثم ابتعد في عمق المحيط وهي تراقبه بين الفينة والأخرى لتستشف مكانه .. وبالرغم من ابتعاده لم تكن لتغيب عن ناظريه لحظة واحدة ، ورغبت ألا تشعر بالضيق بسبب تصرفه وملاحقته لها حتى وهو في الماء .. وأينما كانت ، إنها ليست ضعيفة ، قالت أخيراً وقد ساورها شيء من القلق ، لتكون تحت المراقبة طيلة الوقت ، إنها امرأة ، وهو رجل ، ثم شعرت بازدياد إضطرابها وكأنها تريد مخرجاً لأفكارها تلك .. وفي لحظة ، وفيما كانت تحاول التملص مما هي فيه بدأت تسبح

وكأنها تسابق الريح أو أن هناك من يطاردها . وبالنتيجة التى كان عليها التنبؤ بها وجدت نفسها مرهقة والعرق يتصبب منها حتى وهي فى الماء واحتبست أنفاسها وبدت وكأنها على وشك الهلاك .

وما هى إلا ثوان حتى وجدت نفسها وقد انتشلت بتلك الذراعين القويتين الصارمتين وتعمل على حمايتها .. وتعلقت به ونسيت نفسها كلية وقد أصبحت بين يديه .. حينما استعادت أنفاسها وجدته لا يزال يسير بها في الماء وشعرت بالهلع فيما بينها.. وما كان كوين آنذاك بأفضل منها حالاً .

لكنها حاولت جاهدة أن تبعد يديها عن صدره وتقف منتصبة . وشاهد اضطرابها وشدة خوفها مما كان واضحا على محياها .

وحاولت بليس أن تسبح تلك المسافة القصيرة المتبقية حتى وصلت إلى الشاطىء وهي تقول لنفسها « لاأظن أنني كنت سأغرق على أية حال » ، لكنها لن تسعى للسباحة في البحر مستقبلاً .

ولم يكن كوين إلى جانبها وهي تتناول ثوبها لتضعه حول كتفها ثم تتابع سيرها إلى البيت دون أن تلتفت خلفها .

وجلست بعد أن ارتدت ملابسها تتأمل فيما يلوح بين جنبيها ، ولماذا يملك كوين تلك القدرة على إثارتها وإزعاجها إلى ذاك الحد ، وهو حتى هذا الوقت لم يبد أى إشارة مهما كانت طفيفة بإنه يتجنبها من الناحية الحسية .

ولم تشعر بالجوع حينما أقبلت الخادمة في الخامسة مساء لتجلب لها كوباً من الشاي مع بعض الحلوى ، ولم تشعر به كذلك حينما حان

وقت العشاء . ورغبت في عدم ترك الغرفة ، لكن كوين لن يدعها وسيصعد إليها ليطرق باب غرفتها بعد لحظات . وكان آخر ماراودها هو أن يُعمد كوين للاستفسار ا عرف سبب عدم شعورها بالجوع .. وكيف لها أن تخبره بشيء طالما قها وحيرها ولم تجد له جواباً .

ونزلت غرفة الطعام . ووجدت نفسها لاتزال ترتعش وتأخذ نفساً عميقاً قبل أن تفتح باب تلك الغرفة . ونظرت عيناه إليها وهي تهم بالدخول وتظاهرت بالنظر إلى صينية المشروبات .. فقد كان كوين قد حضَّر عصيراً من العنب والليمون مع بعض السكر ، الشيء الذي لم تستسغه البارحة وقد كان لابد لها من القول بأنه لذيذ .

ــ أظنك قد تحسنت جداً عما ألم بك بعد ظهر هذا اليوم ؟

قال كوين وهو يصب لها كأساً من ذاك العصير .

شكراً جزيلاً أشعر بأنني أفضل بكثير ، أجابته بليس بجدية واضحة .. ثم شعرت بالخوف يدب في أوصالها من أن يكون قد لاحظ اضطرابها وهي متعلقة بين ذراعيه في الماء .. يا إلهي ، أتراه الآن تحت تأثير فتنتها ؟! وهي التي لم تشعر بمثل هذه العلاقة سابقاً أو بتلك الفكرة الرهيبة التي أخذت منها كل مأخذ .. ولم تقو على التفكير في شيء غيره ، ولابد أن تجد الرغبة في الطعام . لكن الواجب يحتم عليها تناول بعض الماء على أقل تقدير كي لايسبب هذا إزعاجاً لمضيفها .. وسرعان ما لاحظ كوين ذلك فبادرها بالقول :

ــ يبدو أن شهيتك قد خفت ثانية ؟

لعله صادق بهذا لكن التجهم بدا بلهجة الجدية ثانية « لماذا لا تعملين على التغلب عليها ؟ » .. فحاولت هنا أن تجيبه بسرعة :

ــ لأنني فقط لا أستطيع ذلك علماً بأن صحتي بحالة حسنة وكذلك جسمي وأؤكد لك ذلك . فأجابها :

ــ لشد ما يسرني هذا .. لكنها كانت تعلم بأنه لن يدع القصة تنتهي .. وعاد ليقول :

مادمت تتحلين بالفطنة والذكاء فلا يمكنني إلا أن أفترض بأن هناك شيئاً ما قد حصل وأدى إلى اضطرابك .

وكما توقعت بليس فلم يستغرق منه الأمر طويلاً حتى أوضح ما كان يلوح في خياله ، بالرغم من لهجته التي عادت في منتهى اللباقة والأدب عما كانت عليه حينما التفت ناحية المحيط قائلاً : أظنك مازلت ترتعشين لأنك كنت على وشك الغرق أثناء السباحة ظهر هذا اليوم ؟

لم أفكر لحظة أنني كنت على وشك الغرق . « أجابته بليس بحدة ومنكرة عليه ذلك » . ولقولها الصدق فقد كان بالامكان أن تصرخ عالياً حينما قدم لها عذراً ممتازاً لتغطية هذا الأمر والتي حاولت تناسيه بسبب تشوش أفكارها وارتباكها المتزايد حوله .

آه . « قال كوين وكأنه أدرك السبب » .

أظنه شيئاً يتعلق بمخاوفك حينما انتشلتك من الماء هناك ؟ وأضاف ببرود وبكل جدية :

ــ أود أن أؤكد لك سنيوريتا بأن هدفي حينما عملت على مساعدتك وأمسكت بك لم يكن أبداً غرضه أي شيء ، ولم تدر بليس لتدرك ما تقول ، فهي لم تفكر بهذا أبداً ولم يخطر لها على بال ، لكنه وقد أعطى عذراً جاهزاً ليغطي مدى تشوشها التي كانت عليه لما اعتراها آنذاك فهي لا تريد منه الآن أن يرمي لها بعذر آخر ولا ترغب كذلك

أن تسمح له بالاعتقاد بأنها فكرت في أي شيء رهيب كهذا ، ولم تحاول إطلاقاً تناسي اهتمامه بها . وما دام فقدان شهيتها للأكل هو الذي يهم راعيها فيمكنها إذن أن تضرب عصفورين بحجر واحد .

فأجابته بعد صمت وقد وجدت نفسها مجبرة على ذلك فيما كانت تتفحص نظراته الحادة الباردة التي لم تغادرها لحظة :

ـــ هل لي بقطعة من الكعك الموجود على الطاولة ؟ ..

وعادت إلى غرفتها لترقد في الفراش لتحاول أن تنال قسطاً أوفر من الراحة حينما شعرت بأن الأمور لا تجري بينها وبين كوين على ماينبغي ..

وصحت في اليوم التالي وهي تؤكد إصرارها على مغادرة هذا المكان بأي وسيلة .. ولم تستطع بالتالي أن تنام جيداً تلك الليلة ، وتكاد لا تقوى على فتح عينيها على غير طبيعتها .. وتساءلت فيما إذا كان عليها أن تخبر ذى العينين الباردتين بمغادرتها .. لكنها شكت في ذلك ؟!

ونزلت لغرفة الطعام مصممة على الظهور بالابتهاج والإشراق ، ومصرة على أن تخبر كوين عن مدى امتنانها وشكرها ، وفي أنها لابد لها من الذهاب .. « أسعدت صباحاً » ، قالت بليس مبتسمة كالزهرة المتفتحة فيما كانت تجلس وهي ترى كوين يحتسي آخر قهوته .. ثم وضع كوبه جانباً ليرمقها بنظراته الثاقبة الجدية .. وحاولت البحث عن الألفاظ المناسبة لتخبره عن استعدادها للمغادرة بعد قليل .

« أسعدت صباحاً » .. أجابها كوين مبتسماً تلك الابتسامة التي طالما أخذت بلبها ، وسرعان ما تابع تحيته بقوله : سآخذك هذا

اليوم في جولة بطيئة إلى المواقع الأثرية .. وسننتقل بالسيارة إلى إيكا .. وما أن وصل إسم إيكا إلى أسماعها حتى طار صوابها وكان تصميمها السابق لما فكرت به قد ذهب أدراج الرياح ، وبسرعة البرق قالت :

إيكا ؟ .. هل سنذهب إليها وكررت الإسم وقلبها يكاد يطير فرحاً ..

وهل سأتمكن من الذهاب إليها ؟

إن عملت على تناول العشاء هذا المساء فسأعدك بالذهاب للتعرف على متاحف منطقة إيكا كذلك .

« سآكل كل نثره » .. أجابته بليس وهي تعده وتضحك في آن واحد وقد تملكتها السعادة ، ونسيت كل مايتعلق بمغادرتها في ذاك اليوم ، وأردفت فيما بينها تقول :

« سأعمل على المغادرة غداً » .

وعمل كوين بعد ذلك على اصطحابها إلى وادي إيكا الخصب والذي اشتهر منذ آلاف السنين بحضارته وصخوره وزارا معاً المتحف الأثري حيث أصرت بليس على تفحص قطع السيراميك المتناثرة هناك والأنسجة المعروضة وأدركت هنا أنها قد أشبعت تماماً بما شاهدته ولم يكن من الغريب أن ترى كوين إلى جانبها أينما التفتت ، حينما بادرها بالسؤال بعد خروجها في طريق العودة :

ـــ ماهو رأيك حول ما شاهدتيه هذا اليوم ؟

إنه رائع حقاً ، وأنه ربما أضعف شهيتها للطعام ذاك الزخم الأثري الفريد الذي ملأ المكان .

ومع هذا فقد تناولا الطعام في فندق أنيق في إيكا أحست بعده

بالارتخاء والراحة وبدأت تحدثه عن كل ما مر بخاطرها عن نفسها وعن والدها وزوجته وعن أختها ، وما إلى ذلك .. ولعل الأمر سيسره لو تسأله كذلك عن عائلته .. لذلك بادرته بسؤالها :

ـــ هل لديك إخوة أو أخوات ؟

ـــ نعم ، لدي شقيقان ، وهما متزوجان ولديهما أولاد .

ثم عاد للصمت .. وتمنت بليس لو لم تسأله هذا السؤال مادام هو لم يتزوج صديقته السابقة بالوما أوريجا فمعنى هذا أنه ليس في نيته الزواج من أخرى .. ولربما يشعر بالحرية لكونه أعزب .

وفجأة أحست بأن الهواء الذي تستنشقه قد أصبح مصدر توتر وكدر .. فقد انتابها شعور بأن كوين لابد أنه يتألم في داخله بسبب حبه الضائع ، إنها تدرك هذا حقاً .. ووجدت نفسها تكره تلك المرأة بالرغم من جهلها بها وتحس بألم كوين وكأنه ألمها .

وبدا كوين صامتاً مطرقاً طيلة فترة عودتهم ، وأدركت أنه لابد مشغول ضمنياً بأفكاره وهي التي لم يكن لها مكان بينها .

وتظاهرت بالأكل عند موعد العشاء ، ولاحظت بالتالي أن كوين لم يتناول إلا النذر البسيط أيضاً .. وعادت إلى غرفتها وإلى فراشها والكآبة تغمرها ..

أصرت بليس في الصباح على المغادرة حيث عملت على الاستيقاظ باكراً .. لكنها سرعان ما أدركت أن اليوم هو الأحد ، والناس فيه تتوقف عن أعمالها ، لكن كوين سيد عمله سواء أكان اليوم أحداً أم لا ، فلن يكون الأمر بذي بال بالنسبة له .. ثم أردفت تقول لنفسها ،

لابد له من الذهاب لعمله بعد الافطار .. ونزلت إلى غرفة الطعام يجول في فكرها ليس قرارها فقط في أن تغادر هذا البيت الذي رعاها بشكل يفوق الوصف طيلة الأسبوع .. لكن ربما كان الرجل راغباً في بيته لنفسه ويأمل أن يسمع منها كلمة كهذه .. لكن أين ، ومتى كان لكبريائها أن يهنئها على قرارها الصحيح ! . فقد جعل كل شيء في عالم اللامعقول ، وعليها أن تشعر بالغصة لأنها لن تراه بعد صباح ذاك اليوم .. « باللسخف » .. أجابها عقلها حينما فتحت عينيها لتقول « أسعدت صباحاً كوين » ، فأجابها وهو يضع الصحيفة التي كان يقرأها جانباً :

ـــ هل نمت جيداً ؟

نوعاً ما .

وأخذ كرسياً لتجلس قربه فلاحظت أنه لم يرتد ثياب العمل ، بل بنطالاً خفيفاً وقميصاً .

إنني أشعر في الواقع بأنني على أحسن مايرام وكما ترى فأنا ممتلئة حيوية ونشاطاً ومستعدة لأي شيء ، وحاولت أن تتفوه بكلمة شكر حتى قاطعها كوين وكأنه اختار تلك النقطة ليقول لها :

ـــ حسناً .. وما دمت على أتم الاستعداد ما رأيك في رحلة إلى ناسكا ؟

ناسكا ؟ هل تقول الحق ، أظنك قد نسيت هذا الأمر تماماً ، وقد أخذت الاثارة منها لبها .

« هل لي أن أقوم بذلك » .. قال كوين وهو يرمقها بنظرة الصديق المحب .

هل أنت متأكد من كلامك ؟ لكنني لا أود أن تتخلى عن عملك ، وجال في خاطرها بأنه لن يترك عمله حتى ولو كان اليوم هو الأحد .

كلا يا عزيزتي .. إنني متأكد مما أقول ، وسوف نغادر في الساعة العاشرة ..

وماكانت « بليس » لتدرك بُعد ناسكا ولم تأل جهداً لتقابله في الساعة العاشرة بالقرب من سيارته .

ـــ احضري آلة التصوير ؟

إنها معبأة وجاهزة ولدى فيلم إضافي آخر .

وظنت بأنهما سينطلقا بالسيارة لكنها فوجئت وهو يقف بالقرب من مطار بيسكو .

ـــ سوف نطير مباشرة فوق خطوط ناسكا من هذا المكان ..

ـــ هل تقول بأننا سنطير فوق تلك الخطوط من هنا ؟

وهي تكاد تطير فرحاً من شدة الإثارة .

سنطير إلى ناسكا من هنا وقد اتخذت الإجراءات للذهاب مع فريق إرشادي ليأخذنا إلى تلك الخطوط .

أوقف كوين سيارته جانباً ودخل ليتحدث مع أحد الموظفين .. ولشد ما أخذتها الدهشة حينما عاد ليرافقها إلى حيث كانت طائرة خاصة صغيرة تقف هناك .

هل يعرف قائد الطائرة بوجودنا هنا ؟ ولم تكد تنتهي من جملتها حتى فتح كوين الطائرة ودخل ليجلس وليطير بها في الجو .. ولم تصدق « بليس » عينيها وهو يأخذ بيدها ويساعدها على ربطة الحزام

استعداداً منه للإقلاع ! ..

لقد كانت الإثارة تتلى خلف الإثارة ذاك الصباح واكتشفت وهي بقربه في مركز القيادة حينما كانا في الجو كيف أن قريتها ستبدو ضئيلة بالمقارنة مع ما تراه ، علماً بأنها لم تفكر الآن في العودة إلى انكلترا أبداً ورمت بتلك الأفكار لتستسلم للمتعة والحبور الذي غمرها في المكان والزمان .

وما أن أقلعت الطائرة حتى حط كوين ثانية بعد قليل ليمسك بيدها وليساعدها على النزول ثم يسألها :

ـــ هل أنت جاهزة ؟

ـــ نعم بالتأكيد .. « فيما كان قلبها يرتعش ويختلج بشدة داخلها وقد أوشك على الانفجار بسبب وجودها هنا لرؤية ما ستوفره هذه الرحلة » .

وقادها كوين إلى طائرة أخرى ذات أربعة مقاعد ، وأقبل قائد تلك الطائرة بعد برهة ، حيث عمد كوين على الحديث معه ثم جلست قربه خلف ذاك الربان ، وأسرعت الطائرة على المدرج لتقلع عالياً ..

لقد كانت رحلة العمر لها في أن تزور خطوط ناسكا والتي لم تكن معروفة في العالم حتى عام ١٩٢٧ حينما اكتشفت من قبل شخص يدعى توريبيو ميكسب كيسيب ، وعمد أشخاص كُثُر بعد ذلك على دراستها وتفحصها ووضع النظريات حولها وعن رسمها لكن دون جدوى .. ولم تكن « بليس » لتهتم بتلك النظريات وهي ترى الطائرة تقترب منها .. وعملت جاهدة لتمعن النظر في تلك الخطوط الرمادية الفاتحة والداكنة من الأرض الصحراوية لتلك الخطوط وإلى تلك

المحفورة والمرسومة التى طالما بقيت في طي المجهول ، اللهم إلا عن طريق القراءة فقط ..

وعمل قائد الطائرة على المناورة فوقها يمنة ويسرة ولمسافة تجاوز الخمسة أميال ، فيما راحت « بليس » تأخذ صوراً رائعة كلما كان عليها أن تراه يلتفت أو يقترب منها جيداً ..

ووصلت « بليس » إلى قمة النشوة حينما شاهدت الطيور وسمعت تغريدها وهمهمتها ولم يفتها فرصة التقاط صور رائعة لها أيضاً ..

وما أن تركت الصحراء لتعود إلى الأرض حتى غادروا الطائرة ليعود بها كوين إلى بيسكو ليستقلا السيارة التى كانت بانتظارهما . وفيما كان كوين يفتح لها الباب نظر إلى عينيها بحنان ورقة ليقول :

تعال وإنزلى .. فأجابت والفرحة تغمرها :

هل صادف وعانيت من شيء رائع ، لا معقول ؟!

ودون أن يتكلم نظر في عينيها البراقتين ووجهها المتورد من الرحلة ولم تشعر إلا وقد اقترب برأسه رويداً رويداً منها ثم وكأنه قد سُحب بمغناطيس نحوها .. وغدت تتأثر لخفقان قلبها الذي كاد يتوقف كلية ..

ولم تدرك بليس أين وصلت حينما ابتعد عنها كوين بسرعة ولم يكن هناك حاجة ليسألها فيما إذا كانت قد استمتعت بناسكا أم لا .. وبدا صوته هادئاً لطيفاً ليسألها إن كانت على مايرام ، ومن ثم ليدعوها على تناول الغداء في بيسكو ..

إرتسمت بسمة رقيقة حلوة على شفاهها حينما دخلت السيارة معه تراودها الأفكار عن كوين وابتسامته وقبلته ، ولم تعد لوعيها إلا وهي

ترى كوين يطلب منها الدخول إلى المطعم ؟ .

ولم تكن بليس لتدري ما تأكل لأن كوين كان قد أخذ منها كل شيء .. قلبها ، تفكيرها ، كيانها ، ولم يترك لها حيزاً لتفكر في أي شيء سواه ! ..

وعادا الإثنان إلى البيت .. ولم يدخل كوين معها بل بادرها قائلاً : لدي بعض الوقت لأقوم به وسأكون مشغولاً بقية هذا اليوم ، سأتركك لتحلقين بناسكا .. وانصرف والبشاشة تملأ وجهه .

أمضت « بليس » عشية ذاك اليوم في هدوء ، ولم يعد كوين عند المساء وبدا تشوش أفكارها يغدو هنا وهناك ، يالها من قبلة رقيقة بقى صداها في نفسها منذ ذاك الحين .. وفكرت حينما بدت على سجيتها وهي تجلس في أحد مقاعد غرفتها الواسعة أن اهتمامها بالآثار قد غدا أقل أهمية من ذاك الذي يؤرق مضجعها ويختلج مع كل خفقة من قلبها في أعماقها .. إنه كوين .. و كوين فقط .

ولعل ما أرّقها أن تكون مفتونة ومغرمة به إلى هذا الحد .. تكاد لا تستطيع كتم حقيقة مشاعرها بعد الآن ولن تعمد على إخفاء ما كان يجول في خاطرها وكان من السهل معرفة وقوعها في حبه لأخمص قدميها .

« يا للأسى » .. لا ، لامجال للحب مع ذاك الرجل الذي فتنت به ، فلن يكون لها .. إنه لامرأة ثانية تدعى بالوما أوريجا .

المقطع السابع

لم تنل « بليس » قسطاً وافراً من النوم تلك الليلة ، وعليه فلم تستطع الاستيقاظ باكراً في الوقت المناسب لتكون على استعداد لاستقبال ذاك النهار .. ودفعت بأغطيتها جانباً وجلست جانب السرير ، ترغب بالاسراع لترى كوين قبل أن يغادر لمكتبه .. لكن إدراكها لحبه مازال حديثاً ولم تكن لتدري كيف لها التصرف حيال ذلك .

ودفعها كبرياؤها على حثها لتغادر المنزل حالاً ، لأنها لن تقوى على العيش مع نفسها ولم تدر فيما إذا كان يشاركها نفس مشاعرها في أعماقه . والحب الذي اكتشفته حديثاً يسلك مسلكاً تكرهه لأنه يدوس على طريق الكبرياء ، ومع تصميمها الكامل نهار البارحة كي تغادر هذا البيت ، فقد وجدت بأن الحب ، والحب وحده هو الذي أقعدها عن الذهاب إلى حين يتوجب عليها ذلك ..

وجلست لترتدي بعضاً من جميل ثيابها كي تسرع للقائه فيما تخلت عن فكرة مغادرتها . ولكن ما أن وصلت إلى غرفة الطعام حتى كان كوين قد غادر المنزل . ولمجرد إظهار التناقض الذي يقوم به الحب ، ولم تدر كيف لها أن تمضي تلك الساعات الطوال حتى يحين وقت العشاء لتراه ثانية ؟!

www.elromancia.com

وشعرت مديرة المنزل بالغبطة تغمرها وهي تحييها وتقدم لها القهوة وبعض الخبز المحمص .. وحاولت « بليس » سؤالها عن سيدها ، لكن شيئاً في نفسها أقعدها عن ذلك ، وحاولت التفاهم مع تلك السيدة رغبة منها في عدم وجود أي شخص يكرهها إدراكاً منها بأن حياتها الآن ستبدأ وتنتهي برفقته .

ومع شعورها بفقدان الشهية فقد أحست بالذبول في جسمها بسبب فقدان جسمها لبعض الأغذية ، لذلك عمدت على تناول ماقدمته لها تلك السيدة .. وشرد بها الخيال ولسان حالها يقول « إن كنت لا أقوى على فراقه هذه الساعات القليلة فكيف لي إحتمال بعده إن رحلت إلى إنكلترا ؟! .

ووجدت نفسها بعد أن أرهقها التفكير تعود أدراجها ثانية لغرفتها لتجد بأن تلك الفتاة الشابة لا زالت تعمل على ترتيبها ولا تصلح للمكوث فيها .

ولسبب عدم توافر أي عمل تفعله ، فقد أخذت كتاباً وخرجت دون أن تدري إلى أين .

ولم يطل بها السير كثيراً حتى وجدت نفسها بين جدران ذاك البيت الصيفي الصغير عند شاطىء المحيط .. وتظاهرت بقراءة ذاك الكتاب لكن آن لها أن تعي ما يحتويه وهي غارقة في خضم أفكارها تتصارع مع نفسها لتحاول الوصول إلى بر الأمان .. ثم حدقت في أمواج المحيط لعلها تجد جوابا لحيرتها ولحبها الذي مازال خائباً .. وبقيت جالسة هناك مايقرب من الساعة حينما هتف بها صوت انتفضت له أوصالها فإذا بكوين وقد صار على مقربة منها .

ـــ آه . لقد صعقت ، ظناً مني بأن أحداً تجرأ للقدوم إلى هنا « وقد غطت الحمرة وجهها خجلاً » .

ونظر كوين إلى المكان الذي كانت قد سمرت عينيها فيه .. لعلك لم تكوني هنا ؟ إنك تأملين في العودة إلى إنكلترا ؟ .. واقترب ليجلس جانباً وهو يتأملها .

ـــ هل تشعرين بالحنين إلى صديقك ؟

وشعرت بالفرحة تغمرها لأن سؤاله لابدّ أن يكون فألاً حسناً تجاهها واهتماماً بأمرها . لكن ماذا عليها القول له إن لم تستطع أجابته بأن حنينها للوطن أو لصديقها كان السبب ؟!

ولم تجبه « بليس » على سؤاله وحاولت تجاهل الأمر ولتعمد إلى سؤاله قائلة :

ـــ لماذا لم تذهب إلى مكتبك ؟ .. وظنت أنها أساءت التصرف بسؤالها هذا ثانية حينما وجدت « كوين » يتناول الكتاب الذي بيدها وليقترب أكثر منها ! ..

أظنه كتاباً جيداً ، أجابت بليس ، وهو يتكلم عن حضارة البيرو القديمة وكانت قد حصلت عليه من أحد المتاحف التي زارتها مؤخراً .

ـــ « هل أنت جدية دائماً إلى هذا الحد ؟ » .. سألها كوين .

ـــ « ما الخطأ في كوني كذلك » .. أجابته بضحكة رقيقة فيما أحست أنه كان يداعبها .

ـــ يا لصديقك المسكين ند !

واعترتها الدهشة لسماعها اسم ند صديقها يخرج من بين شفتيه !! ..

لماذا تقول عنه مسكين ؟! .. وتساءلت فيما إذا كانت قد ارتكبت خطأً بينما راح هو يلاطفها ، لأنها ما لبثت أن رأت وجهه المرح قد تغير ملامحه ليلبس ثوب الصرامة والجدية ..

لقد قلت بأن علاقتك معه كانت علاقة غرامية .. قالها كوين بحدة واضحة .. وفيما كانت تسأل نفسها ما الذي حدا به لتذكر هذا الأمر ، شعرت بأنها تكتم ضحكة على وشك الظهور .

ــ كلا ، إنني لم أذكر مثل هذا الأمر مطلقاً ، لأنني وند صديقان ، مجرد صديقين حميمين لا أكثر ولا أقل .. « وحاولت إيضاح الأمر بغض النظر عما كان يرغب فيه ند منها في أن تكون العلاقة بشكل آخر ، وهذا كل ما في الأمر » .

ــ أظنك تقولين أنه لم يكن ذاك النوع من الرجال الذين يمكن اتخاذه كصديق ؟ .. سألها فجأة وبحدة فيما وجدت نفسها وهي في ولعها وتعلقها به قد أصبحت تتحين الفرصة لرؤيته ، على وشك أن تدوس على قدمه ! ..

ــ فيما كان يتحرق ليعرف جوابها ، عمدت إلى أخذ نفسٍ طويل ، وجدته لا يزال ينظر إليها مطولاً ، لابد إذن من أن تجيبه .

ــ كلا ، إنه ليس ذاك الرجل الصديق بالفعل .

وأشاحت بوجهها بعيداً وهي تقول بحرارة واضحة ، لكنني لم أطارحه الغرام ولن أفكر يوماً بأنني سأفعل هذا ، وافعل ما بدا لك إزاء ذلك الأمر .

ــ أظنك لست عذراء بالطبع ؟ « سألها كوين بتوتر ملحوظ » .

فأجابته وهي في غاية الانفعال والانزعاج وقد فاض استغرابها ولم تتوقع منه هذا :

ــ لماذا تسألني ذلك ؟! .. بالطبع فأنا عذراء .

وبدأت تلعن اللحظة التي بدأت فيها تلك المناقشة بينهما ، وماذا عليها أن تفعل معه .

ــ هل تعنين أنه ليس هناك من رجل ؟ ..

وقفزت « بليس » عندها لتقف على قدميها ووقع الكتاب من حجرها على الأرض لتخطو إلى الأمام .

ــ آسفة لخيبة الأمل .. من الواضح بأنك تظنني إنسانة منحدره من الطراز الأول . وحاولت الابتعاد أكثر وهي في جام غضبها ، لتجده يلحق بها مسرعاً ليضع يديه القويتين الثابتتين على كتفيها ، ولم تستطع الحراك خوفاً من أن تراه وقد احتضنها فأجابها :

ــ كلا ، لا لم أفكر بأي أمر كهذا الذي تقولينه ، وأنت تدركين ذلك حق الادراك . وشدد ذراعيه على كتفيها واحتضنها بحزم قائلاً :

ــ مع جمالك هذا ظننت أنك ...

ــ ما علاقة جمالي في هذا وانتشلت نفسها من بين ذراعيه لتلتف وتصبح وجهاً لوجه معه . وجال ببصره في عينيها ، لكنها وهي لا تكاد تتمالك نفسها من الانفعال والاضطراب أجابته بأنها ترفض كل ما يخفيه من آراء حولها وهواجس تجعله يظنها منحرفة أو بنت هوى « إنني أرفض رفضاً قاطعاً ظنك السوء بي وبأنني أطارح أي شخص الغرام » وحاولت الإفلات والانطلاق بعيداً عنه حينما أحست كلمات باللغة الأسبانية تطرق مسامعها ، وهي مازالت تنظر بثورة عارمة في وجهه .

فإذا بيديه وقد أمسكت بذراعيها ثانية فيما أحست بأن قوتها تتلاشى من لمسته وعبثاً حاولت الإفلات من قبضته كما ينبغي وليقول لها :

ـــ متى ظننتي وفكرت بهذا الأمر ؟

ـــ نعم لقد خمنت هذا ، وأنا متأكدة من هذا الأمر . وتمنت لو أن الأرض تنشق لتبتلعها إن كان ظنه السوء بها قد وصل لذاك الحد .

وحاول كوين أن يتصرف ويتكلم معها بمنتهى الأدب واللياقة والرقة فقال :

ـــ أظنك فقط حساسة للغاية .

وشعرت وهي في أوج شعورها الكريه ، أنها تصنع من نفسها أضحوكة بين يديه ، ألم يكن بمقدوره قول شيء آخر .. وحاولت الابتعاد عنه حين وجدته يقترب منها ببسمته الفتانة ليقول :

ـــ هل لكِ أن تنسي ما بدر مني وتسامحيني ؟ . وتقبلي دعوتي لتناول الغداء معاً ؟

لكنه وهو يرى أن سحره وفتنته لم تنل منها .. قال :

ـــ ليس لك أن تسليني « بليس » .. فالحب شيء آخر .

وما أن توقف ارتعاشها واضطرابها حتى وجدته يقول لها وقد عادت البسمة والانشراح ثانية إليه :

ـــ في هذه الحالة عليك أن تتضوري جوعاً ! ..

وهل تظنين إنني سأصحبك لأي مكان إن لم أرغب أنا في ذلك ؟ ..

كان يردد كل هذا فيما كانت بليس صامتة لا تفوه بشيء .. ثم شعرت وكأن الحياة بدأت تدب فيها من جديد حينما أردف يقول :

هل تخيبين آمال رجل سرق وقته من العمل ليأتي إليك بدلاً من الذهاب لحضور جنازة جدته ؟

ولم تقو على المقاومة ، وقهقهت عالياً ثم انفجرت تقول : أيها الكلب الكاذب ؟ كما أنا أحبك .

وما أن فاهت بهذا حتى وجدت يديه وقد أخذت بيديها لتشدها وليقول :

ـــ لم أفكر مرة بأنك جدية إلى هذا الحد .. ومنعها من الرد وغابت في عالم الخيال ولم تعد إلى عالم الواقع إلا لتجد نفسها تجلس جانبه في السيارة .

لقد دبت تلك الأحاسيس الثقة بحبه ثانية .. لقد أدركت ذلك تماماً .. ولعل تلك القبلة لم تكن لتعني إلا حبه لها .

وتوقفت عن التفكير في الأمر .. ولم تحاول المبالغة فيه عما ينبغي ، فلربما كان هذا فقط لإعادة الابتسامة لوجهها المتجهم.. ولم تكف عن توارد خواطرها إلا لتجد السيارة قرب مطعم قريب .

وجلسا لتناول بعض الطعام حيث بادرها بالسؤال :

ـــ أذكر أنك كنت مولعة بالمغامرة في يوم من الأيام ؟

ولشعورها بالسعادة معه ، علما منها أنها لم تعد كذلك الآن ، أجابته :

ـــ نعم ، ولم لا ؟ .. ثم نظرت جانباً كي لا توحي له بأنها لا ترغب بشيء سواه وسألت كوين :

ـــ هل لديك الوقت لممارسة هوايات معينة ؟ أعني حينما لا تكون مشغولاً ؟ وهي تحاول ألا تعطيه فكرة بأنها مهتمة جداً لأمر كهذا ..

www.elromancia.com

فأجابها وعيناه غارقتان في عينيها .

ـــ أنني أتزلج أحيانا ، وأركب البحر أحياناً أخرى .. « وبدا بعد برهة وكأنه نسي ماكان يقوله » .. و .. و طبعاً أنني أسافر وأعمل على أن أدمج بين السفر والمتعة أيضاً .

كان على بليس هنا الكثير لتقوله لكنها اكتفت بالقول : لا بد لك إذن من المرور بنا في دورست فى انكلترا ، وبدأت والحيرة تدب في أوصالها حينما فكرت بأنه ليس لديها إي شيء لتفعله مع كوين وهو على وشك إنهاء إجابته وهو لم ينتبه لجوابها ، فلابد أنه كان مع بالوما أوريجا آخر مرة ذهب فيها للتزلج ، لكنه فى الحقيقة ماكان يسبح في أعماق عينيها الخضراوين الجميلتين.. ثم انتبه فجأة ليقول :

ـــ هل ترغبين في فنجان من القهوة ؟

ـــ لا مانع لدي من تناول أي شيء « أجابت وهي تشعو بأن حبها له يزداد أكثر فأكثر وهي في أوج السعادة » .

وبقيا معاً ماينوف على الثلاث ساعات يتجاذبان أطراف الحديث دون أن يدركا أن الزمن يمر أو أن الساعات تمضي .. ونظرت بليس إلى ساعتها وكأنها لاتريد لسعادتها أن تغدو بعيداً ، ثم التفتت إليه وكأنها تذكرت شيئاً جعلها تشعر بالذنب حياله .

ـــ لابد لك من الذهاب إلى المكتب ؟

ـــ لقد أعطونا إذناً للراحة هذا اليوم ، « أجابها مبتسماً دون أن يأبه لهذا الأمر كثيراً » .

ووقفا بعد قليل ليخرجا معاً في طريقهما إلى السيارة وهو يمسك بيدها فلم تر إلا لسان حالها يقول : « كم يسرني أن تشد على يدي

وتأخذ بها ، ولم تر حرجاً بذلك ، ولعله من الحق أن تقول له هذا الأمر وقد بدا منشرح الصدر منفرج الأسارير إلى حد بعيد .

وابتعد كوين عن طريق السيارات المزدحمة ليذهب في طريق متعرج فيما جلست بليس بهدوء جانبه ثم اتجه بعدها إلى الشاطىء المؤدي إلى منزله وعمدت بليس على إخفاء مشاعرها والحبور الذي يغمرها وبدأت بالتفكير ، كيف لها أن تكون في انكلترا بعد أربعة أيام قادمة وأن تغادر بيت كوين لتعود ثانية إلى بلدها ! .. ولعل هذه الفكرة الأخيرة جعلتها في غاية من الألم .. وسرعان ما توقفت عن هذا وهي تشاهد كوين يدخل بها إلى قرية لبيع السمك والتي يبدو فيها وكأن الزوارق قد وصلت إليها الآن ..

هل لك بالتوقف قليلاً هنا ؟ « سألته بليس وهو مازال يقود بسرعة فائقة » .

وأوقف كوين سيارته ونزلت بليس لتمتع وتمعن النظر في ذاك الشاطىء الممتلىء حيوية ونشاطاً بسلال السمك المتنوعة الأشكال والأحجام ولم تكن قد شاهدت مثل هذه الحركة والحيوية تدب في مكان كما هو الحال في هذه القرية الصغيرة السمكية . فقد كان السمك ينظف ويقطع ويعبأ ومن ثم يحمل من قبل الرجال والنساء وحتى الأولاد .. والذي بدا أن كل واحد منهم وله عمل معين .. وندمت على عدم إحضارها لآلة التصوير لتعمل على أخذ لقطات قلما شاهدتها في مكان آخر ، لكن لا بأس مادامت العيون أحياناً تقوم بعمل يفوق ما تقوم به عيون الكاميرات .

ـــ ما اسم هذه القرية ؟ « سألت بليس » .

ـــ سان أندوس ، هل أعجبتك ؟

ـــ إنها رائعة حقاً ، وهي مختلفة جداً عن تلك المواقع الأثرية بحيويتها ونشاطها .

ـــ إنها جميلة بعينيك .

ـــ أظنني بدأت أتعرف على وجهات نظر مختلفة عنك ؟ الشيء الذي لم أعرفه سابقاً .

ودخلا السيارة ثانية وبدت الملاحظة الأخيرة نوعا من المجاملة لا أكثر ولا أقل .

ـــ هل يمكننا العودة إلى هذه القرية بعد عودة الصيادين ؟

ـــ ولم لا ؟ .. « أجابها كوين » .

وفيما كانا في طريق العودة للبيت تذكرت رحلتها إلى ماكوبيسكو مع كوين والذي كان من أحلى أيام حياتها ، وها هي اليوم تشعر أن هناك شيئاً خاصاً يجمع بينهما في تلك الساعات التي تمضيها بصحبته .

وسألها كوين :

ـــ هل أنت متعبة ؟

ـــ كلا ، أبداً .. ووصلا إلى البيت وقد كان عليها أن تسترخ ذاك اليوم .. وصعدت إلى غرفتها في بعض الشأن واستأذنته بالذهاب ، ورمت بنفسها على سريرها وغاصت في بحر الأحلام والذكريات الحلوة وبسعادتهما معاً ، وضحكت فيما بينها ، هل تراه يضحك أيضاً ؟! ..

ومع مرور الوقت أدركت « بليس » بأن عليها الاستعداد لإعادة زينتها ولتتهيأ لتناول العشاء .. وبدأت تراودها أفكار لا ترغب فيها

حول موضوعها الرئيسي وكيف عليها ألا تسمح لكوين أن يظن بأنها تحبه .

« كم مضى على إقامتها هنا الآن ؟ » سألت بليس نفسها .. وكيف سرقها الوقت بهذا الشكل .. وأن عليها أن تتحمل كذلك الإقامة في هذا البيت ليلة أخرى ، وسيكون قد مضى على إقامتها فيه مايقارب الأسبوع وهي في غاية المتعة ، وارتدت بليس بنطالاً حريرياً وقميصاً جميلاً واستعدت للنزول إلى العشاء وفيما كانت تخطو إلى الغرفة خطرت لها فكرة زيارتها إلى أريكويبا ، رغم أنه لم تر لديها ذاك الاندفاع كالسابق للذهاب إليها ، وتساءلت ، لماذا ؟

ودخلت الغرفة لتجلس بالقرب من كوين حيث بدأ بتقديم العصير أولاً ثم الوجبات المتتالية فيما كانا يتبادلان أطراف الحديث ، ثم عمدت إلى التفكير في عزمها للذهاب إلى أريكويبا ثانية وهي تحمل في سؤالها الخوف من أن قولها هذا سيعمل على أن يذهب بها إلى المطار مع طلوع الفجر .. آه ، أين كبرياؤها .

وسألها كوين عما تفكر به بقوله :

ـــ تبدين صامتة هذا المساء للغاية ؟

ـــ هل أنا كذلك ؟

ـــ ورغبة منها في عدم إطلاعه على مايجول في خاطرها ، عملت على الابتسام قليلاً ثم التفتت مازحة تقول :

ـــ هل لي أن أخبرك بعملي كموظفة في مكتبة ؟ ..

ـــ ولم لا ؟! « أجابها كوين » .

وعادت بعدها إلى غرفتها بعد أن أعطته لمحة موجزة فقط عن

www.elromancia.com

عملها ولم يطل بها المقام طويلاً حتى دعاها كوين لتلقي نظرة على مكتبته الزاخرة بالكتب القيمة من مختلف اللغات والأنواع .

وخلدت بعدها للنوم واستيقظت في اليوم التالي وهي مصممة على أن تمضي وتسرق كل برهة لتقضيها بقرب كوين .. اعتراها الخوف من أنه ربما يكون قد غادر البيت الى مكتبه ، لذلك عمدت على الإسراع في الاستعداد والنزول إلى غرفة الطعام ..

ودخلتها حينما وجدت عينيه تنظران إلى الباب .. وكأنه يتوقع دخول شخص ما ، ربما السيدة مديرة شؤون المنزل لتقدم قهوته ، وبما أن اشراقة وجهه كانت ظاهرة بوضوح فقد ابتسمت بليس له بقولها :

ـــ أسعدت صباحاً ، « ولم تضف شيئاً . بسبب انفعالها واختلاج فؤادها وانقطاع أنفاسها » .. غادرها على الفور بحدة :

ـــ هل أصابك البرد ؟

ـــ لم تتجنى علي ؟ .. كلا فأنا على مايرام .

وحدقت فيه ثانية وهي ترى تغيره الملحوظ عما كان قد بدا عليه حيث استأنف يسألها :

ـــ ليس هناك عذر إذاً كي لا نأخذ قارباً لنتجول فيه في الخارج ؟

ـــ نأخذ قارباً ؟ ! .. خارجاً ؟ « رددت بليس قوله » .

ـــ هل يمكن أن تصابي بدوار البحر ؟

كانت كل هذه الأسئلة تترى وهو يمعن النظر إلى وجهها وشعرها الذي اندفع إلى الخلف مظهراً جمال وجهها ونقاء بشرتها ..

ـــ كلا لم يحدث أن أصبت بهذا على حد علمي .

وضحكت وهي لا تكاد تصدق كم كانت محظوظة ليقول لها ذلك ، ونظرت إليه وهي تكاد تحتضنه بين أجفانها لتسمعه يقول :

ـــ هل أخبرك أحد عن مدى جمالك ؟

ـــ لو حدث أن أخبرني أحد لنسيته تماماً « أجابته برقة ووداعة ولسان حالها يقول ياله من إنسان لطيف ووديع ، وسرحت كالعادة في عالم الخيال ثم انتبهت ثانية » لتقول :

ـــ هل سيطول بنا الوقت خارجاً ؟

ـــ لابد لك من معطف تأخذيه لأننا سنذهب لنلقي نظرة على جزر بالسيتا وربما تطلب الأمر أخذك لآلة التصوير كذلك .

وبعد مضي بعض الوقت كان تفكيرها يرتكز على أن ماتشاهده قد صار أكثر مما ينبغي ، وها هي اليوم ستكون خارج هذا العالم وبين أحضان الموج كذلك ..

ونزل الاثنان قرب المنزل الصيفي ليستقلا زورقاً كان بانتظارهما .. وأمسك كوين بيدها لتصعد إليه وقد كانت الضرورة تجبرها أن تقف بمحازاته وفي أن تكون شديدة القرب منه ...، ناهيك عن دمها الذي كاد يغلي في عروقها ، أن تقف قريبة جداً منه .. وتوجه الزورق من مرفئه الصغير إلى عرض البحر .. وقد هالها منظر آلاف الطيور التي كانت تغدو وتجيء هنا وهناك حينما إقترب الزورق من تلك الجزيرة .. فقد كانت تملأ الصخور والشواطيء والقمم المرتفعة كل مكان فيه .

وتوقف القارب . ونزلا منه . وما أن أصبحا على أرض الجزيرة حتى أشار كوين بيده إلى مكان بارز من نوع خاص ليسألها :

www.elromancia.com

ـــ هل يمكن رؤية ذاك المكان ؟

وفيم كانت تحدق النظر في ذاك الاتجاه وجدته يضع يده حول كتفها ثم يعمد إلى أن يديرها باتجاهه برقة ليقول ، تلك البعقة ، وأشار ثانية إلى المكان .

آه ـــ نعم ، أجابت بليس وهي ترتعش والكلمات تكاد تجف بين شفتيها ولاتقوى على الكلام » .

ثم أبعد يده عنها حينما عزمت على التقاط صور شتى لتلك الطيور وهي تعلو وتهبط لتلتقط الأسماك من البحر ثم تعود أدراجها ثانية .

وأوقف كوين محرك القارب حينما اقتربا من كهف صغير ليقول : انصتي جيداً . وأصغت بليس لكنها لم تسمع شيئاً . ومن ثم انتبهت ثانية وسمعت ماكان يمكن ان تسمعه ، ماهذا الصوت ؟

ـــ إن البعض يقول أنه أسود البحر ، « أجابها برقة متناهية وهو ينظر لوجهها الآسر » ، لكن ... أسود البحر ! وظهرت خشونة واضحة في صوتها . فيما كانت تنظر إليه واتضح وتناسا الموضوع الذى كانا يتكلمان حوله وهو الذي ظل صامتاً طيلة الوقت ثم انتبه يحاول تذكر ماكان يتكلمان حوله وليقول :

لابد أنك ترغبين بمشاهدة بعض أسود البحر هذه ؟

وبعد مناورة قصيرة في القارب ، قاده باتجاه بعض الصخور ليقف جانب مجموعة منها وعلى مسافة كان فيها الكثير من كلاب البحر كذلك ..

وغدت الذكور تطلق صيحات بين الفينة والأخرى في حين كانت الإناث تخرج رأسها من الماء بالقرب منهم .

ـــ هل صادف وشاهدت مثل هذه المناظر المثيرة ؟

قالت بليس وهي تراه مطرقاً يفكر بأمر آخر . وللحظة بدا وكأن قلبها يغرد بجنون وكأنه يقول أن في أعماق ذى العيون الرمادية هناك شيء يود البوح به .. ونظرت بعيداً الى البحر تتمنى لأفكارها أن تنقلها إلى أي مكان تشاؤه .

وظل الاثنان في تجوال عبر تلك الأمواج الزرقاء الساحرة بين الخضرة والحياة النابضة بكل شيء أكثر من ساعات ثلاث . وبدا وكأن الزمن يطير من أمامها . وحينما عادت أدراجها ثانية ظنت بأن اليوم لن يحمل لها مفاجآت جديدة ، لكن سرعان ماظهر بأن هناك مفاجأة أخرى ! ..

وفيما كان الاثنان يتوجهان بالقرب من الشاطىء المليء بالصخور والرمال ، انتبهت بليس لصورة ماموث محفورة على منحدر صخري قريب .

ـــ ماهذا ؟ « سألته برغبة لمعرفة ذاك على الفور » ..

إنه كاندبلابرو ، « أجابها كوين » أو الشمعدان .

ـــ ومنذ متى وهو قائم هناك ؟

لعل النظريات تختلف في هذا ، فمنهم من يقول ، لابد أن يكون من عهد خطوط ناسكا .

وسرعان ما انتبهت كذلك على أنهم سلكو الطريق الأطول للخروج من ذاك الموقع .

وعاد الاثنان بعد جولتهما تلك للمنزل ليتناولا الطعام ، وحاولت بليس أن تتذكر كل ماكان قد مر بها من أحداث مثيرة في ذاك اليوم وفي

أن كوين لابد وأن يكون معجباً بها « يجب عليه ذلك ؟ » قالتها وهي تحاول تذكر صورة ذاك الشكل المحفور على الصخر في تلك الجزيرة الفريدة . وظلت فكرة إعجابه تراودها طيلة المساء حتى وقت العشاء .

ونزلت الى غرفة الطعام ليبادرها بتحية ثم لتراه مشغول الفكر أكثر مما اعتادت أن تراه عليه . وكان هذا حاله كذلك أثناء تناول الطعام . « ماالأمر » .. وبدأت تفكر طويلاً .. أنه ربما ندم على أخذه وقتاً طويلاً بعيداً عن عمله .. ولم يدعوها ذاك المساء للدخول إلى المكتبة للإطلاع على محتوياتها كالعادة . وماذا عساها أن تقول إلا الرضوخ للأمر الواقع والذهاب إلى غرفتها وأفكار شتى تراودها ..

وفيما كانت بينها وبين نفسها تتساءل عن هذا التغير الذي طرأ عليه ، فهو لايكاد يكلمها ! . ما الذي جرى وحدا به للتصرف كذلك ؟! .. وأطرقت قليلاً وتذكرت أية كان كذلك وقت الغداء يكاد لايستطيع التفوه بكلمة ! ..

لعل الأمر لايتعلق بكونه لايحبها ، ولربما كان الأمر يتعلق بعمله ، ولعله اصطدم مع أحد رجال الأعمال من خلال شؤونه اليومية .

وفيما كانت في هذه الحال إذ بصوت حاد حازم يطرق مسمعها عند باب غرفتها .. وقفزت من وهلتها وهي تحاول اخفاء ملامح إضطرابها وأقبلت إلى الباب،ووجدته عنده .. فأبتسمت له ابتسامة الترحيب ، وهي تحاول عبثا أن تقاوم مايخالجها .. ولم تبدُ الابتسامة على وجهه مما حدا بها على كتم ابتسامتها ، وانتظرت لتعرف سبب قدومه ولكنه لم يفعل .

ـــ « آسفة » ؛ قالت بليس بحرارة ، وهي تشعر بالألم والحقارة ، وتمنت لو أنها على بعد أميال منه وأشاحت بوجهها ، ثم أدارت ظهرها خوفاً من أن تنهار من شدة الارتباك وتقع باكية من التألم الذي كاد يخنقها ..

ماذا ...؟ ... « سمعته يقول » .

وخطت على بعد منه ، ولشدة هلعها وهي تصارع دموعها ثانية أحست فيه دخل الغرفة خلفها . فالتفتت لتقول له :

ـــ سأعمل على حزم أمتعتي حالاً ؟ وابتعدت أكثر قليلاً

ـــ تحزمي أمتعتك .. ؟! « صرخ كوين في وجهها وقد أحست من صوته أنه قد أصبح قريبا وقريبا جداً وأكثر مما ينبغي ! » ..

ـــ كان علمي أن أغادر منذ أيام خلت ، أعني .. وهي تحاول جاهدة السيطرة على مشاعرها وضبط أنفاسها حينما وجدته قد دار ووقف أمامها . ونظرت إليه فإذا بوجهه قد غدا أكثر صرامة ليقول : أنا ..... ؟ أنا ...

ـــ ألم تأت لتسألني أن أغادر هذا المكان ؟

ـــ تغادري ... وصرخ بوجهها ثانية مظهراً أن ذاك من المستحيل أن يكون ، وأنه من غير المعقول .

ـــ لماذا أنت حساسة للغاية ؟ ولماذا تحاولين أن تزيدي الأمور تعقيداً ؟ وقد ظهر وكأن الكلمات تخونه ولايحسن التعبير ولابد له من عمل ما . وهي التي تشعر بأن حبها قد أصبح جزءاً منها من كيانها وطاغياً على كل مايجول في خاطرها . فهي بحاجة لعطفه وحنانه يقدمان لها الراحة والاطمئنان .

وبتنهيدة صغيرة جعلته يمسح بعطف فوق رأسها ، لعلها الآن في الجنة وفي الفردوس ، وتعانق المحبان ونسيا كل ماكان حولهما وكأن الزمن قد توقف معهما وانسابت العواطف فيما بينهما .. يالك من رائع كوين .. وهي التي كانت تكره اسمه .. ودموع الفرح في مآقيها .. وبدت حمى العبث لاتعرف حدوداً بينهما .. ثم .. بدا أنه يحاول عبثاً أن يسيطر على نفسه ، ولم يطل به الوقت ، وكأنه تذكر شيئاً ، حتى خرج مسرعاً من الغرفة .

المقطع الثامن

وظلت بليس طيلة ليلها لاتدري ماالذي حصل ونهضت عند الفجر وقد أفسحت لتفكيرها المجال لاظهار كامل عواطفها من أمل وغيرة وخيبة رجاء وإرتباك .. إنه يرغب بها فما الذي جرى ، وما الذي يمكنها التأكد منه إن لم يكن هذا ؟! .. ومع هذا رفضها !!

هل كانت مندفعة لينة تجاهه أكثر مما ينبغي ؟ .

إن رجالاً مثله يحبون الإخضاع والاعجاب أليس كذلك ؟!

هل تراها سهلت له الأمر كثيراً ؟

وعلى هذا وجدت نفسها تعيش مع مثل هذه الأفكار المهينة المذلة .

إنه لابد أن يعاني من العذاب ، لكن لماذا ؟

هل تغيرت أفكاره نحوها ؟

وإذا لم تتغير مشاعره في ابداء الحب لها بسبب اندفاعها وحماسها فلابد إذاً أن يكون السبب .. « بالوما أوريجا » ، هل تراه فكر بها جدياً ؟ وهل يشعر بالذنب لخيانته حبه الأول ؟ آلاف من الأسئلة تراءت تغدو وتذهب في صدرها وهي لاتعي لها جواباً ..

ووجدت أن من العسير أن تغفو مع كل مايزدحم في عقلها من هموم .

www.elromancia.com

وعملت على الاستحمام لتستعيد نشاطها ومن ثم وضعت عليها ثيابها وهي تتساءل ماذا عنها هي ؟ .

ليس عليها إلا الذهاب لذاك البيت الصيفي لتنتظر حتى يحين الوقت المناسب .. لكن أنى لقراراتها أن تتضح وهي بين أحضانه .

وعادت فكرة رفضه لها لتسيطر عليها وما أن وقفت أمام المرآة حتى وقعت عيناها على شيء لم تلحظه سابقاً والذي ظنت أنها نسيته في ذاك البيت الصيفي .

آه .. لقد كان الكتاب بين يديه حينما حضر كوين إليها !! ..

وأحست بالحمى تجري ثانية في عروقها وخديها .

هل كان هذا هو سبب مجيئة البارحة ليدق عليها باب غرفتها ، ربما تجوَّل في بيته الصيفي ليجد هذا الكتاب هناك فعمد على جلبه لي ؟ .. وإلا لماذا كان عليه أن يطرق بابها ؟! ..

« ياللأسى » .. وأطرقت حزينة بائسة وجلة لم تكن متشددة معه .. ألم يكن من الأنسب أن تشكره ؟ .. وحاولت بعد قليل التلهي بمصفف الشعر وارتداء ملابسها لتكون على أتم استعداد كي تتحلى إلى حد ما بجرأة الرجل وتنزل لتناول الأفطار ..

« سوف لن أخفي حبه » .. هذا ماقررت فعله فأي كبرياء ذاك الذي بقي لديها .. أجابت متألمة .. ووصلت إلى غرفة الطعام ، إنها مجروحة حقاً وقد غدا هذا واضحاً منذ أن وقعت في حبه ثم أخذت نفساً عميقاً وهي تأمل في أن يكون قد تناول طعامه وأنه لابد الآن في عمله ..

وفتحت الباب .. لم يكن كوين في مكتبه وإنما يتناول إفطاره

وليبادرها بتحية الصباح بكل أدب ولباقه ..

« صباحاً صعيداً » .. أجابته بليس مظهرة ابتسامة مصطنعة باردة وهي تجلس ..

لقد كان كل كيانها يهتز ويرتعش كالعصفور الجريح داخلها .. وفيما كانت تحاول تناول بعض الطعام وقد خفت مدة ارتعاشها حتى حاولت القول :

ـــ أنا ... « وأدركت هنا أنه كان يود قول شيء »

ـــ أسفة جداً .. « واعتذرت كأي شخص على درجة من التهذيب وسمحت له بالبوح بما يرغب بقوله » .

ـــ كنت على وشك أن أذكرك بآثار أنكافي تامبوكولورادو . والتي يقال عنها أفضل آثار مازالت قائمة على شاطىء المحيط ..

ـــ آه .. (قالت بليس محاولة ابداء شيء من الاهتمام بما قاله .. لكنه في واقع الأمر لم يكن ليعادل واحدا بالمئة مما كانت عليه آنفاً من إهتمام بهذا الأمر) ..

ـــ كما أن للمكان سوراً مذهلاً .. « قال كوين ووجهه لايزال خاليا من أي ابتسامة » .

ـــ هل هو كذلك ؟ وهل هو بعيد من هنا ؟

ـــ إنه على بعد مايقرب الثلاثين كيلومترا هل ترغبين الذهاب اليها ؟

بالتحديد قال عقلها كلا ، لكنها أجابته :

ـــ متى نذهب اليها ؟

ـــ يمكننا أن نغادر خلال ساعة من الآن .

— ماذا عن عملك ؟ « سألته بليس وهي تحاول أن تصارع الفرصة السانحة التي قدمها لها ، فهناك فرصة لتمضي بضع ساعات برفقته » .

— تسألينني عن عملي ؟

— آوه .. ساعدني .. ورغبت في البكاء .. أتمنى أن لاتذهب بالسيارة ، وهنا قاطعها كوين :

— إنني أرغب بهذا ، وقد بدا أكثر حرارة مما كانت عليه .

وترددت بليس أولا ، ثم عادت لتقول انني أرغب بذلك ، ومادام قد أبدى دعوته فلابد من قبولها .

— شكراً لك على أية حال .

وعادت إلى غرفتها وهي تلعن ضعفها الذي يقعدها عن أن ترفض له طلباً

لقد كان أمامها وقت قبل أن يتوجب عليها أن تغادر هذا المكان إلى انجلترا ، وقت كاف بدأت تشك فيه بأن كوين يرغب بها حقاً . ولربما كان كل مايفعله هو تنفيذ رغبة أختها وزوجها لالتزامه أمامهم بأن يكون تحت تصرفها .

وبدأ الغضب والضيق يسيطران عليها وتمنت لو تنساه وترفض طلبه .. وتركت غرفتها قبل الموعد المعين لملاقاته وهي تحاول ايجاد الرغبة في أن تكرهه ..

وأقبل ليأخذها بالسيارة ودخلت إليها ، والاثنان يكادان لايتفوها ببنت شفة .. لكنها وبموجب وجودها معه عليها أن تكون ممتنة وشاكرة ، ظناً منها بأنه إعتاد أن تتجاوب أغلب النساء بالطريقة التي

أبدتها .. وأن عليه أن يذيبهم قبلاً ، وهو في هذا لم يجد شيئاً جديداً غير مألوف لديه في تصرفها حياله مساء البارحة !! ..

« اللعنة عليه » قالت بليس وقد تبعتها بتنهيدة وزفرة قاسية .. « لكنني أحبه » . ولم تكن زيارة ذاك الموقع الأثري ناجحة فيما كان حبها له وتفكيرها بكل ماسبق قد خيم عليها وعلى كل ماتراه أمامها وأدركت أن حبه لن يتوقف لكي تعمل على أن تكرهه . ولم يتسبب ذاك الموقع شعورها نحوه وأن كل ماطرأ وفكرت به ضده قد تلاشى . ولم يفته عدم تحمسها كالسابق في رؤية تلك الآثار كذلك .

وحينما سألها عن رأيها حول ماشاهدته ، كان جوابها أقل حماساً بشكل كبير عما كانت عليه حينما زارت ماكوبيكو .

— أشكرك جزيل الشكر ، قالت له بليس باقتضاب ثم عادا ثانية دون حرارة في الحديث في حين كان الصمت سيد الموقف ..

وما أن وقفت سيارته الليموزين خارج باب البيت حتى إلتفت ليقول لها :

— سوف أراك بعد بضع دقائق في غرفة الطعام ؛

وجال في خاطرها سبب ذاك السؤال .. وما أن صعدت لغرفتها قليلاً حتى عادت لتنزل لتجبر نفسها على الأكل الذي وجدته بانتظارها .

— هل لي أن أقدم لك شيئاً ، « قال كوين »

— كلا شكراً ، « أجابت ببشاشة » .

وأجبرت نفسها على تناول بعض الطعام المتوافر على الطاولة والذي بدا كالعلقم في فمها .

www.elromancia.com

وما أن خرجت مديرة شؤون البيت حتى بادرها بالقول :

ـ هناك مشكلة في المصنع ولهذا أستميحك العفو .

ـ لا مانع لدي بالطبع . « أجابته فيما كان واقفاً قرب الطاولة » .. ثم تردد وعاد ليقول :

ـ ربما كنت ترغبين في الذهاب معي ؟ فيمكنك أن تلقي نظره على تلك المنشأة ؟

ولو لم يفوه بهذا الكلام بمثل تلك البروده الخالية من الحرارة لكانت بليس قد قفزت من فرحتها ولشدة حماسها للفكرة .. فهي تريد الاطلاع على كل مايهتم به ، وأن تعرف عنه كل صغيرة وكبيرة ..

ـ لعل هذا لطف منك .. « أجابته بليس في حين كان قد صار عند الباب » .

وانتظرت حتى سمعت صوت عجلات سيارته يبتعد وتعود إلى غرفتها ثانية وتمنت لو استطاعت البكاء . فهي لم ترغب أن يعاملها كضيفة زائرة وأن عليه واجبات المضيف في ذاك الشكل الذي تركها فيه والذي كان يتوجب عليه أن يظهر مبتهجاً ، « اللعنة عليه » .. « عليه اللعنة » .

لعله لايحبها ، ولم يحبها مطلقاً .. وبدأ قلبها يرتعش لهذه البادرة من جديد ! ...

إن يوم بعد غد سيكون آخر مايمكن لإقامتها في هذا المنزل . وبالرغم من كبريائها المطعون وتصرفه عكس ماينبغي نحوها ، لكن لابد أن حبها لكوين يرقص طرباً كلما تذكرته حتى وهي بعيدة عنه ! ...

وعادت لتبين مدى شوقها إليه ، وتمنت لو أنها رافقته إلى ذاك المصنع .. وحاولت البكاء .. ثم خرجت من الغرفة ودون أن تعرف ماذا تفعل .. وجدت نفسها تجلس بهدوء ، لكن آن للهدوء أن يبقيها هناك وغليان فكرها يطغى على كل شيء ، فخرجت من المنزل على غير هدى وحاولت السير على طول الشريط للساحل القريب منه وهي تلعن قدرها الذي جعلها على وشك أن تتمتع بالسعادة بين يديه ، تهرب منها وتنأى عنها .. إذاً لابد لها من أن تغادر المكان ..

وتابعت خطاها إلى مسافة بعيدة من الشاطىء حينما التفتت لتتبين خطاها وهي التي مازالت لاترغب في العودة ولم تجد إلا وقدماها يقودانها إلى ذاك المنزل الصيفي الصغير ..

وجالت ذكريات القبلة الأولى في مخيلتها وماتبعها من أمور وأمور .

وبسرعة أدركت أن الغد لابد أن يحمل لها نبأ مغادرتها إلى انجلترا وليس في برنامجها إلا يومين اثنين .

وبما أنها لن تعمل على الذهاب إلى « جهارا » لرؤية أختها وزوجها اللذين لم يكونا هناك ، وبما أن حماسها لرؤية أولانتيتامبو قد غدا من ذكريات الماضي ، فليس أمامها والحالة هذه إلا عودتها لانجلترا .

وأحسبت بأنه لابد لها من مساعدة كوين كي يؤمن لها الحجز والعودة كذلك إلى ليما .. وعليها أن تذكره بذلك وقت العشاء .

وعادت أدراجها ثانية لتجد الفتاة الشابة وهي تشير لها بأن عليها أن تدخل لتناول الشاي وأنها قد تأخرت عما ينبغي .

www.elromancia.com

وتابعت خطاها والقلق لايزال يساورها ، ولم يكن كوين قد عاد بعد ، لكن لماذا عليها أن تفكر فيه ؟ .. إنه يطاردها في كل زمان ومكان تذهب إليه أو تجلس فيه ! ..

وفيما كانت ترتشف بعض الشاي تذكرت أنها كانت تجلس قرب الهاتف ، فتذكرت أختها فحاولت أن تتصل بها متمنية لو استطاعت أن تتذكر رقمها بالشكل الصحيح لكن « إيريث » ليست هناك .. انها تعلم ذلك وفيما كانت تدير قرص الهاتف تذكرت أن عليها أن تتكلم بالانجليزية وربما رد عليها من لايفهمها وكم كان فرحها عظيماً حينما رن في مسامعها صوت « ايريث » يجيبها على الخط الآخر .

ـــ أشكر السماء أنك هنا.وضحكت مستبشرة فيما كانت تحاول التغلب على أثارتها تلك لعودة أختها من فرنسا وحينما سمعت إيريث تقول :

لقد رن الهاتف في حين كنت إلى جانبه ولم أرغب بالرد لأنني مازالت لا أفهم الاسبانية حق المعرفة .. فأجابتها بليس ؟

ـــ لكن بالتأكيد أصبحت تفهمينها بعض الشيء .

ـــ نعم لأنني بدأت أدرسها ويحاول « دوم » كذلك أن يطلعني على جملة كل يوم . « وبدت السعادة في حديثها » .. ماذا تفعلين عندك ؟ « سألتها ايريث »

كلميني عنك ، متى عدت ؟

ـــ ربما اتصلت حينما كنا خارج المنزل ، لقد كنا في كوسكو ، « أجابت إيريث » .

ـــ كلا ، أعني متى عدت من فرنسا ؟

وأخذتها الدهشة وهي تسمع جواب أختها :

ـــ ماالذي تتحدثين عنه بليس ؟ .. نحن لم نذهب البتة إلى فرنسا ؟ .. مطلقاً .

ـــ أما كنت في فرنسا ؟ .. ولم تدر بليس ماتقول لكن ايريث أردفت تقول :

ـــ عليك أن تشاهدي آثار كوسكو ؟ وأظنك لاترغبين بشيء آخر ؟ . ويمكنني أن أتبين من كلامك أنك مازلت مشوشة منذ قدومك إلى البيرو .

أما فرنسا فقد كانت في برنامج لرحلتنا في شهر العسل لكننا عدنا إلى جهارا باكراً . وأنت تعرفين ذلك . لكن ما الذي دعاك للتفكير بأننا غادرنا ثانية ؟

فنحن لم نمض أية ليلة خارج « جهارا » منذ أن عدنا من رحلتنا .

ووجدت بليس صعوبة فائقة في إدراك ماتقوله إيريث ، فأجابتها بأنها متعبة قليلاً هذا اليوم .. ولقد ظنت أن والدة دوم كانت تتوقع قدومك .. لعلك نصف محقة في هذا ، أجابت ايريث لأنها تتوقع وصولنا في أية لحظة . وبدأت بليس تضج بالأفكار ثانية وبأسئلة تكاد تنفطر لها .. ما الذي بحق الاله يجري هنا معها ؟ إن والدة دوم لم تعان من شيء ، وقد علمت بأن دوم قد اتصل بها ليلة البارحة وهي بصحة ممتازة ؟ ..

ـــ « حسناً » أجابتها بليس بركود وقد وجدت من المستحيل أن تصدق بأن كوين كان يكذب عليها كذلك عن أختها وزوجها أو

www.elromancia.com

لسبب مرض أمه في فرنسا وسمعت أختها تسألها :

ـــ إذاً ما الذي تفعليه ؟ كلا بل لا أود منك أن تجيبني على الهاتف ، ستخبريني بذلك حين قدومك إلى هنا أليس كذلك ؟ وسوف لن أقبل منك العذر لعدم مجيئك لزيارتنا ..

مارأيك في الغد ؟

وسوف نستقبلك في مطار كوسكو ؟

أين أنت الآن ؟

ولم ترض بليس لنفسها بالكذب على أختها ، لكنها لم تكن قد وقعت بالحب قبلاً ، وإذا بدا بأن كوين كان كاذباً حقيراً من الدرجة الأولى ، فقد كان حبها مخلصاً .. وهنا أجابتها :

ـــ إنني قرب باسكا .. وسأتصل بك غداً صباحاً حينما أتأكد من الوقت الذي ستغادر به طائرتي .

ووضعت بليس السماعة وهي لاتكاد تصدق ماسمعت وظلت مذهولة مأخوذة لفترة ساعة وقد بدا كل شيء حيالها قاتماً .

هل كان كوين يكذب عليها في كل شيء ؟

ولماذا كذب ؟

إنه كاذب .. كاذب وبدا جام غضبها يظهر رويداً رويداً .. ولم تكن مسرورة به ولولا ذاك الغضب لكانت قد تحررت من كل شيء ولكان كل شيء واضحاً وجلياً .. لقد بدا من تفكير كوين أنه يمكن أن يطلعها على كل شيء إن رغبت في ذلك .. وساورها الضيق لأنها كذبت على أختها ..

لكن ماذا حول كذب كوين ؟

لعل تصرفه هذا مخجل حقاً .. وهو يعرف بأنه لم يكن في نية أختها وزوجها أن يغادرا جهارا . وإغرورقت الدموع في مآقيها وهي تصر على أن تطلب من كوين أن يحجز لها غداً لتطير إلى أختها .. وزفرت زفرة تشبه الجحيم وثارت ثائرتها ثانية .. فهي لن تنتظر الغد أو حتى هذه الليلة ، فسوف تغادر حالاً .

وأسرعت لتتناول محفظتها لتبدأ في اعداد ثيابها على غير هدى منها وكيفما اتفق .. لكن كيف لها أن تخبر مديرة الشؤون في ذاك المنزل عن رغبتها لتطلب لها سيارة أجرة حالما تكون قد انتهت .. وفيما هي كذلك إذ بالرجل الطويل الفاره ، الرمادية العينين يدخل عليها الغرفة وهو يراقبها .

اللعنة على كوين كونتيترو ، « قالت بليس فيما بينها »

إلى الجحيم ياكوين ، وإذا لم تستطع المغادرة هذا اليوم فعليها أن تقوم بقضاء ليلها في الفندق في بيسكو وليس تحت سقف بيته .

كيف يجرؤ على ..

اللعنة عليه .. ثم التفتت إليه لتقول بعنف غير آبهة للهجتها القاسية :

ـــ شكراً أنك طرقت الباب ؛

ـــ يبدو أنك على عجلة من أمرك ؟

ـــ كيف يمكنك قول ذلك « أجابته على الفور ، انها تكرهه وهو يحاول إضعافها » .

ـــ هل تفكرين بالمغادرة ؟ سألها وأجابت بليس برقة وأدب . بالتأكيد .

www.elromancia.com

وماذا إذا قلت لك أنني غير مستعد ... أن أدعك تذهبين ، فأجابته بحنق وغليان وهي تكاد تتفطر منه .

ـــ أه ... أه ...

ووضع كوين يديه على جنبيه وهي تحاول أخذ شيء من الخزانة ، ولم تستطع تجنب رؤية فهمه لسبب ثورتها وتصرفها . فما كان منها إلا الصمت والوقوف حياله وهنا أجابها بشدة :

ـــ كيف يمكنك الوصول إلى ليما دون مساعدتي ؟

ـــ وهل لي أن أذهب إلى ليما ؟

لعلي أستطيع تدبير شؤوني دون مساعدتك .

ـــ إنك لن تذهب إلى ليما ؟ كان يقول هذا وهو لايكاد يعرف إلى أين تود الذهاب ، وهنا وقفت أمامه لتقول :

ـــ إن كنت تريد الحق ، فإنني في طريقي إلى كوسكو .

وما أن لفظت هذا حتى أدرك كوين ماذا وراء تصرفها .. كوسكو ؟!

ومن أجل أن تكون أكثر دقة في تعبيرها أجابته ببرود :

ـــ انني ذاهبة إلى جهارا .. إن لدي أختاً هناك وقد اتصلت بها منذ قليل .. وهنا حاولت بليس أن تتمالك نفسها كي تظهر بمظهر الجديه ثم أردفت تقول :

ـــ إن إبريث قامت بما يلزم تجاه والدة دوم وعادت من فرنسا أسرع مما كنت أتوقع .. ثم أمضت ثواني محدقة فيه لتستطلع رد فعله ، لكنها لم تتلق جواباً من عينيه المسمرتين على وجهها .. وحاول بعد قليل أن يسبر غور الصمت بقوله :

ـــ لدي بعض الشروح لأوضحها لك .

ـــ لكنك لن تستطيع أن تكذب أكثر من هذا ؟ . وثارت ثائرتها مرة ثانية ضده وضد ضعفها تجاهه وقد اشتعلت بها النار لتقول :

ـــ بحق الجحيم ، ما الذي يجعلك تفكر بأنني مهتمة إلى أبعد الحدود .

ـــ ليس هناك من سبب وجيه لماذا يجب عليك ذلك ، ولكنك لن تذهبين إلى أي مكان صدقيني ، قال كوين . حتى تسمعيني أخرج ، وسوف أكون مضطراً للقول إن كان باستطاعتك الانضمام إلى في غرفة الجلوس . وما أن تفوه بذلك حتى فتح الباب ليخرج من غرفتها . ولم تصدق بليس عينيها وقد تُركت لتتساءل فيما بينها كيف يمكن لها كما يبدو أن تكون الشخص المخطىء فجأة .

www.elromancia.com

المقطع التاسع

وقفت بليس تحدق شاردة وعيناها على ذاك المدخل الفارغ الذي خرج منه كوين ، وكيف لها أن تنضم إليه في غرفة الجلوس قبل إجباره في اتخاذها الخطوة الأولى التي يجب أن تقدم عليها ؟!

وبدأت بعصبية بالغة تتساءل كيف يجرؤ في الحقيقة ليجعل الأمور تبدو وكأنها هي المخطئة في الوقت الذي كان هو الكاذب في كل ماقاله آنفاً . وربما كان الحال كذلك منذ فترة ماقبل كوسكو حينما إقتنعت منه بأن أختها وزوجها كانا حقاً قد غادرا لفرنسا .

وحاولت كتم غيظها والتخفيف من عصبيتها قبل نزولها إليه .. وأنه لابأس في أن تراه لكي تخبره تماماً من هو الذي ، وحسب رأيها ، كان مخطئاً .

ياللكلب البائس ، وهل يمكن أن يجعلها أضحوكة سخيفة إلى هذا الحد ، لابد لي من شرح الأمر له « قالت بليس فيما بينها وهي تحاول الوصول إلى الباب » .. لكن ذاك الشيطان سيشرح وجهة نظره .

وقتمت الباب وتذكرت كلمته في أنه لن يسمح لها بالمغادرة إلى أي مكان حتى تسمعه يغادر البيت .

كلا ، لايمكن لهذا أن يكون ، ولن يجبرها غير خالقها على أي

www.elromancia.com

شيء في هذا الكون ، أو أن تبقى في بيته وأسرعت في خطاها قليلاً وقد أخذ منها الغضب كل مأخذ ودخلت غرفة الجلوس .

كان يقف محدقاً إلى الباب حينما فتحته وقد بدا عليه الاعياء إلى حد ما .. لكنها ضربت بهذا الأمر عرض الحائط .. ورغم إرتعاش كيانها ظهر كوين ببرود هدوء .

ــ لماذا لاتأخذين مقعداً ؟

ولم تعمد لشكره على دعوته لها بالجلوس هذه ورغبة منها في عدم اظهار ارتعاشها واضطرابها الذي أخذ منها كل مأخذ وغدت لاتقوى على الوقوف . ووجدت من الأفضل لها أن تأخذ كرسيا وتجلس قرب الطاولة التي بدت الآن خاليه من الشاي .

ورمقت رأسها إليه وهو يتفحصها ملياً .. وقالت أرجوك اختصار ماتود قوله بقدر الامكان . لأنني سأغادر خلال العشر دقائق القادمة .

ان ماسأقوله ربما استغرق أكثر من هذا ، « أجابها كوين باقتضاب وايجاز » .

ماالذي سيقوله ليستغرق أكثر من عشر دقائق وهي هنا في هذه الحالة ليست بحاجة إلى ضربة مؤلمة أو أن تسمع منه بأنه لايرغب بوجودها أبداً ، وهي لاتود المعاناة ثانية من هذا المتكبر المتعجرف غداً .

وجلس كوين حيثما طلبت بليس منه ذلك كي لاتعمد إلى الوقوف ثانية وفيما كان ينظر إليها ملياً قال بحدة

أنني مدين لك الاعتذار .

ان كان عليه حل الأمور بهذه الطريقة ، فالأمر لن يكون مجرد اعتذاراً . وربما كانت حدة صوته من انفعالاته الداخلية . لكنها تعرف كوين أنه ليس بالرجل الذي يحبو ليلتمس العذر كذلك . وأن اعتزاره لابد أن يكون أفضل مايستطيع أن يقدمه .

حسناً ، وضحكت بخسرية واضحة .

ليس علي إذاً إلا أن أكون شاكرة وممتنة على تصرفك ظناً منك بأنك كنت أنت المصيب وأنا المخطئة . وسرعان ما أجابها كلا ، إنك لم تكوني يوماً على خطأ . وقد أصعقتها إجابته تلك فيما كان كلامه بالتالي أكثر دفئاً مما خفف من حدتها على الفور .

ــ إذاً لابد أن أكون ملاكاً .. « قالت بليس وقد ثارت ثائرتها وشعرت بالضيق لأنه بتغير لهجته يستخف مشاعرها لهذا الحد .

ــ لماذا كذبت إذاً ؟

لأنني .. وحاول إيضاح ذلك ثم صمت ثانية ومع انها لم تكن لتصدقه ، لكنها أدركت انفعاله تماماً وحاولت تصور ذاك الانفعال جيداً وعمل على استئناف حديثه بعد ثوان على غير إتزان حيث قال :

ــ لقد كنت مريضة وبحاجة إلى الراحة ، وإن كنت ترغبين الصدق ، فقد كنت بحالة سيئة . وهنا انفجرت بقولها :

ــ يالكلامك العذب عن الحق والصدق ، أجابته وهي تمعن النظر إليه وكأنها تود قتالاً معه ، بريء ، ودون خجل ، ولن تعمل على الكذب لحساب ذاك الأمر .

وحاول كوين تعديل ألفاظه ليقول :

ــ كان يوجد ... لكنها قاطعته

www.elromancia.com

كيف فعلت ذلك ؟

ـــ لقد كنت قد أرهقت نفسك إلى أبعد الحدود ، وترفضين الاقرار بهذا لذا فقد كان من المنطق أن أهدد بإخبار أختك بأنك لم تكوني كما ينبغي بصحة وعافية .

ـــ لقد عملت على ابتزازي ، قالت بليس وقد رمت بضربة أخرى على بابه .

وحاولت ابتزازي عاطفياً كذلك !

ـــ لقد كنتِ السبب في أن أكون مخادعاً ؛ « أجابها كوين وهي المرة الأولى التي سمعته ينعت نفسه بهذه العبارة » ، لأنك قلت بأنك ستذهبين لرؤية أختك في اليوم التالي آنذاك .. « وبدر منه نفس عميق » أردف بعده بقوله :

ـــ ولم يكن هذا مارغبت به أيضاً .

واعترفت بليس هنا أنها كانت على وشك الضياع لتدرك ما الذي لم يكن ليرغب فيه آنذاك ، ووقفت تفكر ملياً ثم قالت :

ـــ كان باستطاعتي الخلود للراحة في بيت أختي في جهارا ليوم أو يومين ولن تألَ أيريث جهداً في أن تعتني بي .

ـــ لكنني لا أود منك الذهاب إلى جهارا !

ـــ لا ؟ ... لاترغب ؟! .. سألته بليس بدهشة ثانية ، وهي في قرارة نفسها ماكانت لترغب في الذهاب إلى جهارا كي لاتكون عبئاً ثقيلاً على أختها في أحلى أيام حياتها ، فهل يمكن أن يكون له نفس هذه الأسباب أيضاً ؟! ..

ـــ آه .. أووه لعل كل شيء ماهو إلا كرات ثلج ، « قال كوين هذا بعد تنهد طويل » .

ولم ترض عن هذا جواباً وأخذت تحدق فيه محاولة اكتشاف مايخفيه بين جنبيه ، وقلبها ينبض بعنف ، وهو يكاد لايشبع ناظريه من عينيها الخضراوين .. ولم يطل الوقت حتى انفجر بحدة ليكشف مابداخله :

ـــ أريدك في بيتي .

هل يمكن أن يقصد هذا في كلامه ؟ وهل هي شيء يمتلكه راودتها هذه الفكرة فيما كانت تشيح بناظريها عنه . وهي التي حينما عادت لوعيها ثانية تلك الليلة وجدته قد انسحب من غرفتها وسرعان ماتركها ..

ومهما كان الأمر الذي يمكن أن يقلقها فهي على يقين من أن كوين لم يحضرها لبيته ليشاطرها الغرام والحب ..

وفيما كانت تذكر تلك اللحظات المتقدة المثيرة التي كانت قد تجاوبت فيها معه ، كان الألم قد أخذ منها كل مأخذ .. هل تراه يفكر بهذا أيضاً وقد أدى به بالتالي الى تغيير رأيه ظناً منه أنها إنسانة سهلة الانقياد وطوع بنانة .. وشعرت بالدم يغلي في جوانبها لتقول :

ـــ لعلك ترغب بي في بيتك لأنك أعددت للأمر عدته ومن أجل ابتزازي لتحصل على ماتريد !! .. وفيما هي تقذف بتلك العبارات الظالمة الطائشة قالت ثانية :

ولقد ضايقك مني ، بعد أن قررت أنه يجب على أن أتعافى في بيتك وأعود كما ينبغي ، أنني لم أكن بالآنسة المتجاوبة معك والمطيعة لك كما

www.elromancia.com

تريد .. ياللرجولة المتعالية !! وقد أحنت بظهرها . وسرعان ماأجابها بحدة متناهية :

ـــ إن المغالاة في الرجولة لاعلاقة لها بهذا الأمر ! .. وتعلقت بليس بهذه الفكرة وهي التي لم ترغب لنفسها أو لأى شخص آخر أن يستهين بها أو يذلها .

ـــ لقد كذبت عليّ ، وأصبح هذا واضحاً وجلياً .. أنه لم يعد هناك طريقة أخرى لتحصل على ماتريد .. وأدركت بأنها بدأت تفقد سيطرتها حينما تابعت قولها :

ـــ لقد عملت على إذلال المرأة منذ أن تركتك بالوماأوريجا ، وشعرت بالألم لقولها هذا ..

لكن ، آه ، كيف لها أن ترمي بمشاعره جانباً لتقول هذا .. ياله من كلام ظالم مجحف وهو يبدى بالتالي غيرتها أيضاً .. و .. نعم ، لابد لها من الاعتذار حالاً عما بدر منها من ألفاظ ..

ـــ إنني أسفة جداً ..

أنني لا أعني ...

لقد جعلتني أغضب لكن ...

وقاطعها كوين :

ـــ لاعليك ، ولاتفكري بهذا الأمر .. « أجابها بكل جدية واحترام » .

والتفتت إليه حيث سمعته يقول :

ـــ ربما علقتُ سابقاً على تصرفاتك الرهيبة ، « ولم يبد الخوف مما يقول » ، لكن أ. يضاح بعض الأمور لك لتعرفي بأن بالوماأوريجا لم

تكن هي التي قطعت علاقتها معي . وأمعنت النظر به ثانية ، وعادت لتختلج من جديد إلى حد ما ، حيث قالت :

هل أنت .. الذي تجنبها ، وهي التي لم تكن قادرة على أن تتبين مايعنيه ، حينما أجابها :

ـــ ربما عبرت عن هذا بعبارة مختلفة ولكن النتيجة واحدة .

ألم تكن ، أنت ؟ سألته بليس فيما اتسعت عيناها محدقة أكثر فأكثر لتعرف أنه ربما لم يكن على علاقة حب وغرام مع بالوما بعد كل هذا .

وهز رأسه قائلاً :

ـــ لقد كانت تنظر للأمر بجدية متناهيه ، أما أنا فلا ، مطلقاً ..

وبدت أثقال الدنيا قد إنزاحت عن كاهلها حينما نطق بتلك العبارة ، لأنه كما يبدو لم يكن أبداً على علاقة حب مع صديقته السابقة ..

ووجدت بأن حرارة السعادة تدب في أوصالها من جديد ، وبالطبع لن تدعه يدرك كم كان لكلماته هذه أثر البلسم على جرحها .

ولم يعلق كوين على جلستها وشدة تلهفها لمعرفة الحقيقة حينما تابع قوله :

ـــ انني لم أطارحها الغرام إطلاقاً .. كان من الصعب على بليس هنا أن تبلع ريقها .. وحز بنفسها ماصدر منها مساء البارحة وهي التي قدمت نفسها بكل رضى له .. ألم يعمل على رفضها ؟! ..

ـــ واعلمي ياعزيزتي بأن الأمور بيني وبين بالوما لم تصل الى تلك الحرارة التي كانت بيننا ..

www.elromancia.com

« أوه » ... تمتمت فيما بينها حين أدركت أنه لم يكن على علاقة حب مع بالوما بل كانت هي الطاغية داخل كوين ...

ياله من شخص متميز فريد ، ليعمل على فتح قلبه ويخبرها بكل شيء كما يفعل الآن ، وكأنها شيء على غاية من الأهمية ، ولتعرف كيف كانت الأمور تجري بالنسبة له .. وأردف ثانية :

ــ وما أن ودّعت بالوما في ذاك اليوم ، حتى سمعتها دون علم مني تتكلم عن رغبتها في اعلان خطبتنا وقد كنت حينها أكثر من بعيد عن عالم الاناث وعن تصرفها ذاك .. لقد حصل هذا في نفس اليوم الذي دخلت فيه قاعة الفندق في ليما ، وفجأة شاهدت أجمل فتاة ذات شعر خمري برّاق وقعت عيناى عليها ، وقد تركز سحرها آنذاك على واحد من أبناء بلدي والذي بدا مفلساً . واندفعت بليس هنا لتقول ، رغم مدحه لجمالها : إنني لم أركز جمالي وحسنى على من أظنك تعني سنيور منديلا .. وسواء لديه مال أم لا فقد قبلت ....

ــ هذا صحيح أيضاً ..

وعمل كوين على الإقرار بما تقول ثم لاذ بالصمت ولم يطل به الوقت حتى أردف ثانية :

ــ لقد اكتشفت بأن سحرك إنما هو سحر طبيعي .

وحاولت بليس هنا أن توضح ماكان بينها وبين فيديلا وأخبرته عما كان من أمر مرض ابنه وما إلى ذلك . وكيف أن أمه قد توجب عليها البقاء إلى جانبه ، لذلك لم تكن برفقتهما ذاك المساء ..

ــ انني متأكد تماماً من هذا ، وانك بالتالي تقولين الصدق .. وحاول أن يظهر بمزاج معتدل ليّن ..

ــ لعلك ظننت بي السوء قبل أن نتكلم معاً ! ..

« قالت بليس »

ولقد شاهدتك في اليوم الثاني آنذاك وأنت تتفحصني .

ــ ألم تعيدي رد الجميل ؟ .. « سألها كوين » .

وتجاهلت قوله هذا لتتابع ثانية :

إن أول مرة تكلمت فيها معي كانت « لماذا لاتنظرين أمامك أثناء السير » .. وشعرت بأنك تنظر إلى بازدراء واحتقار كلما صادفتني .

ــ هذا لأنك ظهرت بمظهر اللعبة البراقة ، لكل من ينظر في عينيك الجميليتين ، وأنا أعترف بهذا .. ولم أكن في وقتها بمزاج جيد لأعود إلى موقف مشابه مع امرأة جميلة يمكنني أن أكون على صلة بها ..

وتساءلت بدهشة عارمة :

ــ أنا ؟؟ « ولم ترغب بذكر ذاك الجزء الذي يتعلق بها » .. لكنني لابد أن أقر بأنك أكثر جمالاً . وبدت الحقيقة واضحة كل الوضوح فيما يقول ولم يكن تملقاً أبداً ، وبأنك لاقيت مشكلة قبل أن أعرف من ... وقاطعته بليس :

ــ مشكلة ... !

ــ نعم .. وغزلاً وعبثاً .

ــ كلا ، « وعملت على انكار ذلك » .

ــ ربما ظننت هذا حينذاك . « وتوقف عن الكلام في حين كان يود متابعته » ..

ــ لقد غيرتَ رأيك ... في النهاية .. « أجابت بليس » ..

ــ بالطبع ، لكن هذا كان بعد مكالمة دوم الهاتفية طالباً مني أن

www.elromancia.com

أمر بك وأن أعمل على تقديم يد المساعدة لك في حظر غريب عليك .. ولم تتصوري أبداً أنني كنت أنا من سيمر بك ليدعوك الى العشاء في فندق ليما . ودوم هو الذي أخبرني عن تلك الفتاة الناعمة الرقيقة المولعة بالآثار والتي كان من السهل لي أن أقول عنها أنها إنسانة عالمة . لكنني سرعان ماعرفت بأن القناة لم تكن إلا تلك التي سحرت أعين كل من كان في الفندق من نزلاء ، وأخذت بلبهم ثم .. تعرفين ماحصل بعد ذلك ...

وأدركت بليس هنا بأنها مفتونة ومسحورة بما تسمع ..

ــ ولكن هناك جنوح للظلم فيما كنت تتصرفه معي .. وهنا أجابها :

ــ لكن لم أرض أكثر من هذا . « الأمر الذي أذهلها كلية » ! ..

ثم تذكرت ماكانت تفعل في غرفة جلوسه ، حينما كانت في أوج غضبها وقد سمحت له أن يبعدها متعمداً عن النقطة الفاصلة :

ــ لعلنا ابتعدنا جداً عما نود الحديث حوله .. « قالت بليس » ، رغبة منها أن يعود للبداية ثانية ، لكنها لاحظت أنه يفكر بأمر آخر ، وعاد ليقول :

ــ سنأتي الآن على ذكر ، السبب الذي دعاني لأفعل مافعلته للحظة ما .. ذلك لأنني أريدك أن تعرفي تماماً ، وحسب خبرتي بالنساء . أنني وجدتك شيئاً مختلفاً .. كإنسانة جيدة .

ــ هل هذا مديح ؟ أجابته بليس وبدت أكثر حساسيه واندفاعاً بما كان يهتم به وقد بدا وكأنه غير واثق من نفسه ، وهو يجيبها :

ــ لقد عرفتُ حينما وصلت إلى هذا بأنني فسرت الأمور بشكل سيء ..

ــ تبدو وكأنك ... ثم صمتت ..

ــ صدقيني ، إنني لم أخلق لأعرف الكذب ..

وحاول أن يبدو واثقاً تماما مما يقول ...

لنعود ثانية إلى البداية : حينما اتصل دوم وقد بدا أنه يحب زوجته عمل على اعطائي فكرة عمن تكون تلك الآنسة بليس كارتر ، كما أطلعني على هواياتك ومشاريعك المحببة ، وكيف أنك كنت طريحة الفراش لعدة شهور وعلى وشك أن يفقدوك ، وأن زوجته في غاية القلق والاضطراب من ناحيتيك .. وعبثاً حاول دوم تخفيف معاناة أختك بأنك على مايرام .. وسرعان مابادرها بفكرة وجودي في ليما ، لذلك عمل على الاتصال معي وقد أعطيته وعداً بألا لاتصادفي أي مشكلة صغيرة كانت أم كبيرة لأنني سأعمل جهدي على مساعدتك ولأكون رهن إشارتك .. وتناولنا الطعام معاً ، و.... وتابعت بليس هنا قولها :

ــ وعرفت حينها اننى لست بحاجة إلى مساعدتك ...

ــ لقد اعتقدت هذا ، ولم أقل ذلك ، حينما سمعتك تعدين العدة للذهاب إلى كوسكو .. لذا أسرعت لأكون معك على نفس الطائرة ..

« أنت .. أنا » .. قالت بليس وقد صعقتها الدهشة لما تسمع .. لكنني سألتك حينذاك إن كنت ذاهبا بسبب أعمالك إلى هناك ، فما كان منك إلا أن أجبتني « هذا ليس من شأنك » . أليس كذلك .

لذا ، لاأعتقد أنك ذهبت إلى كوسكو لمجرد سماعك بأنني سأذهب إليها .

ـــ لم يكن لدي سبب لأقوم بتلك الرحلة ، « أجابها كوين بهدوء » . لكن ... ولم تصدق بليس ذلك ، وفيما كانت تبحث عن جواب استطاعت إيجاد سبب وجيه لذلك فقالت :

ـــ ذلك لم يكن إلا لسبب وعدك لزوج أختي ..

ـــ لقد اعتقدتُ بأنني كنت قد أديت ما فيه الكفاية من هذه الناحية .. « أجابها كوين » .. ولشد ما كانت دهشتها حينما فكرت بكل ماجرى بعدها .. وتسمرت عيناها بتلك النظرة الثاقبة الجانبية وهي تسمعه يقول :

ـــ كنت لا أزال أتساءل ما الذي دعاني لأغير برنامجي إلى كوسكو حينما أقلعت الطائرة ، لكنني سرعان ماعرفت بعد حين ، وبعد هبوط الطائرة حينما سألتني إن كنت قادما بسبب أعمالي ، وكيف لي عندها أن أخبرك فيما كنت لاأزال أتساءل مع نفسي ماالذي دعاني للقدوم إلى كوسكو حقاً ؟! ..

« ياإلهي » ، قالت بليس بصوت منخفض ، وسواء أرغبت بهذا أم لا فقد انتابها شعور بأنها خُدعت .. وفيما كانت لاترغب في سماع المزيد وجدت نفسها وقد فقدت كل فكرة خطرت على بالها للمغادرة حالما تستطيع ذلك ولتعود و تسأله :

ـــ هل عرفت بعدها لماذا كان عليك أن تستقل الطائرة الى كوسكو ؟ أعني ...

وفيما كان يتأمل ملامحها الجدية قاطعها :

ـــ اه .. نعم ، « وبرقة بعد صمت أردف » يقول : حينما تناولنا الطعام سوياً ذاك المساء كنت على وشك إكتشاف ذلك .. ولقد كنت منشرحة الصدر باسمة الأسارير ممتلئة حيوية ونشاطاً حينما سألتك كيف أمضيت ذاك اليوم ، ولم أستطع أن أشيح بناظري عنك ، وأنا أكاد لا أطيق فراقك ، كي تُفتني بي .. ثم أدركت بعدها ، حينما رغبت في إلقاء نظرة على ماكوبيكو ، أنني لابد أن أكون بقربك أيضاً ..

فولك الحق والشرف هذا ، أم ماذا ؟

وأصرت بليس على معرفة الجواب « لأنك قلت أُفتن بك » ، وحدقت به متساءلة وكأنها تكذّب أذنيها ..

ـــ لقد بدأت عندها أن أسحر بفتنتك وسحرك ياحبيبتي ..

وصعقتها الدهشة ، ولم تدر ماتقول ، وقد كان بمقدورها آنذاك القيام والصراخ بأعلى صوتها بما سمعته :

لقد كان هذا شعوري قبل ذلك لكنني لم أتبينه حقيقة إلا حينما كنا في ماكوبيكو .. وقد كان هذا سبب ذهابي إلى تلك المدينة ..

ـــ هل هذا قول شرف ، قالت وقلبها يكاد يقفز من شدة اختلاجه وارتعاشه .. وجهدت فى البحث عما يهدىء احساسها وأجابت بعد حين ، وهي التى لم ترغب أن تجعل كوين يظن بأنها قد تفطرت لقوله ذاك والذي كان أكثر ما في هذا الوجود متعة وحبوراً لها .. فسألته :

ـــ وهل تمتعت برحلتك إلى ماكوبيكو ؟

ـــ لقد كان الأمر معك وكأنه عالم جديد .. « ويملىء بالدفء

www.elromancia.com

قلبها ، أضاف .. لقد اكتشفت أشياء أخرى ذاك اليوم كذلك ؟ ..
« ورغبت بليس في أن تسمع المزيد فسألته بتلهف » :

ـــ متى ؟

ـــ حينما حملتك ذاك اليوم وأنت متعبة بين ذراعي بعد إصابتك بنوبة السعال .. فقد أدركت عندها أن من واجبي حمايتك ورعايتك .

« آه » .... وشعرت بالخوف حالاً مع أنه لم يكن هناك مايدعو لذلك .. ووقفت فجأة لتبتعد عنه . وتحرك كوين بسرعة وقدم إليها ليسألها بصوت أجش ، لقد أرغمتك ياعزيزتي أنت لاترغبين أن تعرفي أن ... وسكت عن البوح بما يود قوله .. ووضع يديه على كتفيها ، وفيما كانت تتمتم بكلمات ودت لو تخبره بأنها كانت مغرمة به ومفتونة بحبه وبما يقوله .. وبأنها نعم كانت منزعجة لعدم رغبتها في أن يعتني بها :

ـــ وهل كنت أنا .. السبب في أنك كذبت علي وبما قلته عن إيريث ؟

ـــ من ناحية ، نعم ، وبشكل خاص لم أستطع تحمل فكرة ابتعادك عني .. « كل هذا وبليس مازالت بين ذراعيه » .

ولم تكترث للأمر « لقد كان الصدق جلياً في كلامه وجالت عيناه في عينيها » وكأن لسان حاله يقول تريديني أقرب من ذلك إليك، وبدت بليس وكأن أنفاسها قد تلاشت ليقول :

ـــ سأكون بقربك للأبد « قال كوين هذا بكل اصرار وحزم ولم تحاول بليس المقاومة وحاول أن يقربها إليه أكثر » ليسمعها تقول :

« سنكون معاً للأبد » ..

واقترب بفمه ليهمس في أذنها بحرارة غامرة :

ياحبيبتي ، فيما كادت بليس لاتستطيع حتى أن تنبس ببنت شفه أو حتى لتسمع أنفاسها ... هل اتضحت الأمور لك أخيراً بجلاء ؟ ألم تدركي كم كنت أحبك ؟

ودون دراية منها أمسكت به بشدة وهمست :

ـــ « إنك أنت من أحب » .

ولم تدرك بليس ماكان يحصل وهي تنظر إليه وحاولت أن تستخدم ذكاءها كي تكون محبوبته ، ومحبوبته فقط .. ألم يكن هذا هو مطمح أملها وتحقيق أحلامها والذي بدا من المستحيل سابقاً حصوله ؟!

ـــ وهل كان هذا سبب انزعاجك مني في اليوم التالي ؟

ـــ انزعاجي ؟! « مكرراً كلامها وهو يبتسم ابتسامته الحانية ، كيف لي أن أنزعج منك ياحبيبتي الصغيرة ؟! .. لقد كنت بمزاج مسيء آنذاك ، في ذاك الفندق في كوسكو حينما لم تتوافر لي رغبة في طعام الأفطار .

لقد كنت أفكر بك ، لأنك أرهقت نفسك أيما إرهاق ولم تكوني بوضع صحي سليم .

ـــ كنت متعجرفاً متكبراً في تصرفك تجاهي ، أجابته بليس وهي تحاول عبثاً تذكر ما يخامرها بعد قوله ذلك ، وهل يحبها ؟ وهل يمكن أن يحبها ؟ يا إلهي انني أريده واحبه جداً ! ..

ونظر إليها وقال :

كيف عليّ أن أكون ؟ وأنت متعبة لأبعد الحدود وقد كنت

مازلت تخططين لتسلق منطقة أولا نتيتاميو في اليوم نفسه .. لقد وجبت علي حمايتك من نفسك ..

ـــ وهل كان هذا سبب اختلاقك تلك الكذبة وللادعاء بذهاب أختي لفرنسا ؟

وعاد الاثنان ليجلسا على مقعديهما ، حينما قفزت بليس ثانية لتسأل وقد شعرت بالضيق ثانية :

ـــ لقد كنت تريدني بالقرب منك ؟

ـــ نعم ، دعيني أوضح الأمر ، وأشرح لك كيف ، حينما سمعت مدى الصعوبات التي لاقاها صديقي « دوم » ليكسب حبه ، كنت متأكداً تماماً عندها أنني لم أقع في الغرام لأقوم بهذه الاجراءات والأمور .. لكن ماوجدته بعدها ، إلا ماحصل .. وحين رفضت بعند أن توفري لي الوقت الذي طلبته منك ، لجأت الى الكذب كي لاتبتعدي عني ..

ـــ كان بإمكانك القدوم الى جهارا .. « أجابته بليس » .. ودوم هو صديقك ويمكن ... قاطعها كوين مؤكداً نعم ، هذا صحيح . لأنك عملت دوماً على الإصرار كما تبين لي بأنه ليس في نيتك أن تقطعي عليهما استمتاعهما بشهر العسل الذي يقضيانه ، وبما أنني كنت قد صممت على أن أكون بقربك ، فلا مهرب لي إذاً من أن أتبعك إلى المكان الذي تقودينني إليه .. ألم تر معي ياحبيبتي كم كان هاماً بالنسبة لي آنذاك ألا تعلمي بأنني وقعت بحبك ، لأنه كان من السهل أن أتبعك هنا وهناك وأن تتساءلي فيما بينك عن سبب هذا .. وبما أنه لم يكن في مقدوري آنذاك البوح بهذا الأمر .. لذلك كانت تلك

هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها أن أبقيك قربي طيلة الوقت ..

ولكي تأخذني إلى بيتك بعدها .. أليس كذلك ؟ « قالت بليس » .. وهو يصر على أن مافعله ماكان إلا بسبب حبه الجارف نحوها والتي لم يتخيل حينها أنها وقعت في حبه ..

لقد رغبتُ حقاً بالعناية بك ، وفيما كنت في حبي وخيبة أملي ، لجأت إلى الكذب .. وكنت في الواقع قد نسيت فكرة والدة دوم وذهابها إلى فرنسا حتى ذكرتني أنت بقولك « هل هي مريضة » .. ومن تلك اللحظة بدا كل شيء يمضي على أحسن مايرام .

وقاطعته هنا بليس بقولها :

ـــ حيث طرنا سوياً بعدها لى باراكاس و ... وعاد ليتم حديثه بقوله :

ووجدت نفسي أحبك أكثر فأكثر كلما مضى يوم علينا . وطالما انتابني القلق والهواجس لأعمل على ايجاد الطريقة المناسبة لليوم يجيء هذا ، وأنه لابد لي من أن أبوح بذلك على الفور خاصة وأنا أسمعك ترددين بين الفينة والأخرى أن رحلتك إلى البيرو قد أوشكت على النهاية .. وأدركت عندها أنني حرمتك من رؤية أختك التي تكنين لها الحب الكبير . وساد الغرفة صمت مطبق ، وفيما كان كوين يحكم يديه حولها سألها :

ـــ هل تراني كنت مخدوعاً ياعزيزتي في تفكيري بأنك لست ذاك النوع من النساء اللواتي يندفعن للانتقام لعدم أمانتي ، ولتسمحي لي بأن أكشف مافي قلبي ، اللهم إلا إذا كنت تحملين في قلبك بعض الحب والاهتمام .

www.elromancia.com

وفيما كانت عيناها تجول في عينيه أجابته :

ـــ وهل تحبني حقاً ؟

ـــ سأكون لك طيلة حياتي ، ولقد شعرتُ ليلة البارحة أنني كنت أهم رجل في حياتك . كما سبق وأخبرتيني .

وأرخت بليس ناظريها وقد أدركت ماكان يقصد حينذاك مشيراً بشكل خفي لما حصل ليلة البارحة .. لكن ألم يعمل على رفضها حينذاك ؟! ولم تعمد على إخفاء ماكانت تشعر به حيال هذا الأمر ..

وعاد كوين ثانية ليقول :

أرجوك بليس ؟ « محاولاً إخفاء مايعانيه وكأن الهم قد تملكه » .. هلا أخبرتني ماذا يجول بخاطرك ؟

واقتربت بوجهها الدافىء ثانية لتهمس له بخجل وارتعاش « إنك حبيبي .. وكل حبي لك » .

ولم يدر كوين ماالذي أصابه ، وهو لايكاد يصدق ماتفوهت به ..

ـــ لابد أنك جد متأكدة من حبك نحوي ؟

ـــ نعم ، كل التأكد .. أجابته بدقات قلبها الذي كاد يخرج من بين أضلعها ، وإحمرار وجهها الذي غدا كالوردة المتفتحة الحمراء خجلاً .. ثم عادت لتكرر ثانية « أحبك حباً يفوق الوصف » ..

ولم يتمالك نفسه كوين إلا وأخذها ثانية بين ذراعيه ليطبق بوجهه ويقبلها في جبينها وأنفها وفمها ثم يعود ليضمها ثانية إلى قلبه المرتعش الذي لم يعرف مثل هذه النشوة من السعادة آنفاً ..

ولم تتمالك بليس نفسها وهي من فرط بهجتها بحبه وهي وبين يديه

إلا أن تقول :

إن كل ماعرفته في الأيام الماضية هو أنني أحببتك ، لقد كان حبك يَمْثُل في وجهي في كل مكان وكنت أحاول الهروب منه والابتعاد عنه ..

« ياللحبيبة العنيدة ، تابعي كلامك » ..

لقد كان رائعاً ذاك اليوم الذي ضمنا معاً في ناسكا ، ولم أستطع مقاومته ، وحينما عدنا إلى كوسكو ونسيت عندها ولعي بي وهوايتي وفي بحثي عن الآثار وأدركت يومها أنني أحببتك .. وهنا حاول كوين أن يقول :

ـــ لقد كنت منذ الأحد الماضي تحت وطأة أحزاني وتفكيري وعدم تأكدي من حبي تجاهكك .. لكنني تأكدت منه تماماً في ذاك اليوم نفسه ونظرت إليه بليس تحاول مواساته لتقول :

ـــ لكنني آلمتك يومها . أليس كذلك ؟

ـــ كلا ياحبيبي .

ـــ بل أنا الذي آلمتك وسببت الازعاج لك .. قال هذا وهو يبعدها قليلاً ليحاول النظر في وجهها وحيث بادرته يقولها على الفور :

ـــ لقد أدركت أنني أحببتك وظنت وقتها أنك مغرم بصديقتك السابقة بالوما أوريجا .

ـــ يالك من غيورة !

وشعرت بالخجل لما تقوله ، فيما كانت ترى كوين يضحك ضحكة صافية .

لست بحاجة للغيرة من أي امرأة ، لأنني أعرف مدى الألم الذي تسببه مثل هذه المشاعر وأرجوك المعذرة لأنني كنت المسبب لها .

ـــ لابد أنك شعرت بالغيرة تجاه شخص ما ؟ سألته بليس إدراكاً منها بأن حبها مازال جديداً ولم تتأكد منه تماماً ..

ـــ أغار عليك وعليك فقط . واعلمي جيداً أنه لم يكن لامرأة مثل هذه السيطرة عليّ .. فأنت حبي وحبيبتي ..

ـــ حقاً ؟ .. « قالت بليس » ..

ـــ صدقيني ، ولم أكن لأدرك هذا الوحش الطاغي حتى عرفتك ، وكم هو قوي في ثورته .

ـــ أذكر زوج أختك وثقته بي حينما طلب مني العناية بالفتاة الحلوة الرقيقة « بليس » ..

ـــ لعلك كنتَ تغار من هذا الكلام ؟ .. وهل لك أن تخبرني من هو ذاك الذي تغارُ منه ؟

ـــ انني أغار من أي رجل ينظر في عينيك ، « أجابها كوين باسماً ودون تردد على الفور » .. ولقد شعرت بأول وخز للغيرة حينما كنا نتناول العشاء معاً في ليما .

وشعرتُ بحبها يزداد كلما بدت تلك الابتسامة المشرقة على محياه ومن بين شفتيه .. وأطرق بعدها ليقول :

ـــ لم أدرك عندها أنها نوع من الغيرة وإنما ضيق وانزعاج لسوء تصرفك في معاملتك المحايية لأولئك الشبان الذين وجدوا آنذاك في الفندق .

ـــ لكنني لم أتصرف إلا بما يمليه على الأدب .. « قالت بليس » . وقاطعها ليتابع قوله :

ـــ وشعرت بهذا أيضاً حينما كلمتني عن صديقك « ند » .

وانفرجت أسارير بليس عن ضحكة حلوة وهي تدرك تماماً بأنه يحبها لكي يتطرق لكل شيء من هذاالقبيل أو ليعمل على تذكره .

ـــ لقد كنت كل المتعة لي ، وهل في هذا أدنى شك . لعلي رغبتُ أن أكون صريحاً في كل شيء لأشاهد مدى سعادتك ولأرى تغير ملامحك .. لقد كنت أنا من أحضر ذاك الكابتن للطائرة كي يعمل على الطيران بنا فوق خطوط ناسكا كي أكون بقربك وأشعر بنبضات قلبك .. حتى حينما عدنا ثانية إلى بيكو لم أستطع إلا أن أطيل النظر في حيوتك المشعة ووجهك المتألق حيثُ وجدت قلبي يكاد يقفز من بين جوانحي . بينما استطرد هو : كنت أخاف أن يتفاقم الأمر ولا أستطيع ضبط مشاعري ، وأنا الذي ماكنت يوماً لأفكر بهذا ، وخوفاً من عواطفي تلك حاولت الابتعاد عنك بعد عودتنا ، طيلة ذاك اليوم ..

ـــ لكنك قلت في حينه أنك مشغول ببعض الأعمال ؟

ـــ كلا . بل كانت أكاذيب إضافية . وأخبرتني آنذاك أنك لاترغبين مني الابتعاد عن عملي ولم يخطر في خلدك عندها أن تفكيري ماكان إلا بك .. ولقد عانيت من قلة النوم والطعام في تلك الليلة وكنت على وشك الجنون ..

ـــ آه ، ياحبيبي كوين ، لشد ماعانيت !

ـــ أشكرك لهذا ، وابتسم لها فرحاً بالطريقة التي أجابته فيها

www.elromancia.com

ياحبيبي ، وقبّلها على ذلك ، واستأنف حديثه فيما كان يحاول جاهداً ضبط مشاعره ليقول :

ـــ كنت قد عقدت العزم على التخفيف عن نفسي ظناً مني أنه من الأفضل لي كثيراً عندما لم أرك وقت تناول الإفطار كما جرت العادة في صباح اليوم التالي وذهبت لمكتبي ، لكنني لم أكف عن التفكير بك ، لذلك اتصلت بمديرة شؤون المنزل لأسأل عن أحوالك الصحية . ولم تكن « بليس » لتتصور كيف يمكن لكوين أن يخبرها بكل هذه التفاصيل ، حينما أردف يقول :

ـــ لكن السيدة مديرة شؤون المنزل أخبرتني بأنك تناولت طعام الأفطار وأنك بحالة صحية ممتازة . ومع هذا ، فقد كنت قلقاً حول صحتك إلى حين عودتي عند الظهيرة ولأطلع على الأمر بنفسي .. ووجدتك عندها في البيت الصيفي .. نعم وجدتك هناك ، لكن بعد أن طال بي البحث وأنا أفكر كيف يمكنني أن أبقيك في بيتي ولكن لم يدر بخلدي غير ذلك هل لك أن تصدقي ذلك ؟ ولأحاول التخفيف عما يجول في صدري دعوتك للغداء ، وابتسم كوين هنا ليرى عينيها تلمعان من فرط الفرحة حينما ذكرها: وقد كان ذاك أجمل يوم نتناول فيه الطعام في بيكو . وعدنا بعدها أدراجنا إلى سان أندرو ووجدت قلبي بعدها يكاد يطير من شدة الحب .

ولم أدر يوماً أنني رأيتك مستمتعة مبتهجة كما كنت في تلك الرحلة القصيرة التي ذهبنا فيها إلى تلك القرية السمكية .. وكيف تلوميني على رغبتي في الذهاب معاً في اليوم الثاني وبأن تكوني لي ولي وحدي .

وذهبنا إلى تلك الجزر الرائعة وشعرت أن كل شيء كان على أحسن وجه .

لقد كنتُ معك ؛ وهذا ماتمنيته .

وبعدها ليلة البارحة عند العشاء ، وفيما كنت بفتنتك وبرقتك تأسفين لكونك السبب في انشغالي عن أعمالي في ذاك اليوم .

سامحيني ، ياحبيبتي ، هناك الكثير مما أود البوح به .

ـــ لكنه عملك ، « قالت بليس » ..

ـــ لاتكترثي ، فإن عملي يجري بشكل ممتاز حتى ولو لم أرعه إنتباها .. ورغبة مني في أن تبقي في بيتي ، فقد وجدت من الصعب جداً أن أتصور السعادة التي كنت عليها وأنتِ معي تحت سقفي .

فيما كنت أبحث عن فراغ أو مكان أستطيع فيه أن ألملم شعث نفسي واتعلم كيف أخفي مشاعري . وفيما أدركت يوم الجمعة الفائت كيف أصررت بسبب عِنَدِك على الذهاب ، لم أكن لأتصور عندها ابتعادك عني .. فقد أمضيت طيلة تلك الفترة أفكر بطريقة أستطيع بها اثناءك عن عزمك .

ـــ ياللوغد المحتال ، « أجابته بليس » . لقد كنت تختلق لي الأعذار لزيارة مكان ما كلما رغبت في المغادرة ؟ أليس هذا هو الواقع ؟ .. وهل فعلت كل هذا عمداً ؟

ـــ لعلك بدأت الآن في تفهم قصدي .

وما كاد ينتهي من هذا إلا وشعرت بأن قلبها يكاد يحتضنه من شدة فرحها ولتجيبه :

ـــ لقد كنتُ دائماً أتساءل ، لماذا علي أن أرضخ لما تطلبه مني ،

www.elromancia.com

ولكنني عرفت بعدها أن هذا لم يكن إلا لبقائي فترة أطول بقربك .

ـــ كم أنا سعيد لأسمع منك هذا ، « أجابها كوين » .

ـــ لعلي لم أكن الوحيدة التي لم تستطع النوم أو تذوق الطعام بسبب ماكان يساورها من حب .

ـــ هل كان هذا سبب عدمُ تناولكِ الطعام ؟

ـــ كلا ، بل كنت آكل طيلة الوقت « وضحك الاثنان حتى علت صيحاتها وملأت جو الغرفة بالبهجة والحبور » .. ولربما كان عدم اعترافي بكل هذا ليلة البارحة كما كان في بيتي .. وهنا قاطعته بليس :

ـــ أظنك تقصد حينما قدمت إلى غرفتي ، لقد قلت بأنك ترغب بإعادة الكتاب ؟

ـــ لقد التمست عذر الكتاب لآتي إليك . لأنني كنت في حالة عصبية وإنفعال مثير ، وأردت أن أحطم ذاك الحائط الجليدي لأبوح لك عن خداعي وكذبي حول قصة أختك وذهابها إلى فرنسا مع أنها لم تذهب ..

وفيما حاولت بليس أن تتفهم حقيقة كونه في صراع نفسي حقاً سألته :

ـــ هل كنت في صراع نفسي عصبي ؟ .

ـــ لم أذكر أنني مررت مرة في حياتي بمثل هذا الظرف من الانفعال بهذا الشكل . وكنت أوشك على أن أفعل المستحيل لأبقيك إلى جانبي وفي بيتي .

ـــ ياحبيبي كوين ! .. « وتنهدت بليس لدى قولها وهي تشعر بالألم يحز في أوصالها بسببها ولربما أدى به ذلك إلى الانهيار والجنون » .

ـــ كان علي أن أخبرك بكذبي ، لكن الوقت كان يمضي ولم أجد فيه الفرصة المناسبة لفعل ذلك ، ولم أكن لا أتحمل كلمة الوداع ، أو أن أرى نظرة احتقار وازدراء في عينيك إن أخبرتك بقصة أختك .

ـــ لكنه لم يكن لدي أي فكرة ... « قالت بليس » .

ـــ لم لا أنك لم تدركي ذلك وشعرت كذلك بالاختناق مساء البارحة عند العشاء لفكرة أن أي كلمة تصدر عني حول جلبك إلى بيتي تحت أسباب مزيفة ستعمل على إبعادك عني ، لذلك حاولت كتمان الأمر .

ـــ هل كان هذا هو السبب في مجيئك الى غرفتي ؟

ـــ كلا ، كان هذا مؤخراً . وبعد العشاء حينما غادرتُ غرفة الطعام وذهبتُ الى البيت الصيفي حيث وجدتك وحينما عانيت من ليلة طويلة أخرى ولم يكن بمقدوري أن أراك قبل الصباح فقد قررت ..

أن تأتي وتراني ، قالت بليس ، أليس الأمر هكذا . وهنا سمعت منك ذاك التعبير الرهيب وظنك أنني قدمت لأقول لك بأن عليك مغادرة المكان .

ـــ ولكنك ... غادرت .. « قاطعته بليس بخجلها الواضح على وجنتيها أنه لم يعد هناك من شيء تريد استطلاعه بعد شرحه هذا » ..

ـــ ياحبيبتي الحلوة ،.. ماذا كان علي أن أفعل ؟ لقد أردتك ، وأنت كذلك في داخلك رغبت في أن أكون ملكاً لك . لكن احمرارك وخجلك كان له أكبر التأثير علي وما كان علي إلا أن أذهب .

www.elromancia.com

وأجابته على الفور :

ـــ لأنك لم تفكر بأن ماتفعله كان صحيحاً .. نحن ... حينما ... لم نوضح شيئاً « أجابته بليس » .. نعم بالإضافة إلى الحقيقة في أنني كنت لاأزال اعتقد في ألا أعمل على اهتزاز ثقة صديقي دوم ، بما أنك مُتعبة وبحاجة إلى الراحة .. ومن هنا كانت فكرة إحضارك إلى بيتي وتحطمُ ثقته بي إن أدرك بأنك تقيمين معي وأنت بصحة جيدة ..

ـــ لقد كنت أنبل وأشرف رجل قابلته ، « أجابته بليس » بعدها وهي لاتكاد تحول ناظريها عنه .. ليجيبها على الفور :

ـــ وهل أنا كذلك .

ـــ لاتنسى أن تُذكّرني لأقول لك ، كم أنا أحبك كل يوم ، وإلى الأبد .

فيما كنت عندها أزداد بؤساً وحيرة وبأن الساعات ستمضي لتذهبي بعيداً عني ، وكيف أنني حرمتك من رؤية أختك وأنت في بيتي في البيرو .

وهنا أكدت له بليس برقتها المتناهية :

ـــ ولعزائك حبيبي ، فقد كنت قلقة جداً طيلة الليل ولم يغمض لي جفن .. لكنه تابع يقول :

ـــ كنت آمل أن يكون تفكيرك أكثر وضوحاً هذا الصباح ولم تقرري ماذا عليك فعله .. لعل ماعرفته بالتأكيد منذ الفجر هو أن علي أن أمضي كل لحظة من هذا اليوم بقربك .

ـــ هل كان هذا سبباً للذهاب إلى نامبو كولورادو ؟

ـــ نعم ، لقد كان صدمة لي .. أليس كذلك ؟ .. وكنت في كل

مرة أود أن أبوح فيها بحبك ، كنت أفكر هل لهذا الأمر أن يخيفك . لذلك عملت على التفكير في كل كلمة وكل شيء كان قد جرى فيما

ـــ ياعزيزي كوين : لقد كشفت لك ستري أليس هذا كافيا ؟!

ـــ ليس تماماً ، لم يكن هذا كافياً لي .. وحينما ذهبتُ بعد الظهر إلى العمل وفيما كنت لازلت محور تفكيري بدأت أتحرى مرة أخرى وأنا أتذكر صباحنا في نامبو كلورادو ، وماحصل هناك ، لقد كان في البداية شيئاً يستدعي الندم حينما أجبتني أنه ليس بالممتع حقاً .. وبدأت أتساءل : ما الذي أدى إلى عدم التجاوب أو الاهتمام لتخفيف حماسك .. ورغبة مني في الوصول إلى شيء أكثر إقناعاً وأهمية ، وفيما كنت أربط هذه الأفكار مع تلك الذكريات في ليلة البارحة وفي طريقة تجاوبك معي فقد كنت أتوق لمعرفة أنك كنت تفكرين بي وأنني كنت فعلاً شخصاً متميزاً بالنسبة لك . وقبل أن أدرك ذلك وجدت نفسي في السيارة أسابق الريح لأصل إليك .. « وضحكت بليس هنا » لتقول :

ـــ وشاهدتني أحزم متاعي للمغادرة ؟

ـــ كلا ، بل شاهدت الخادمة أولاً والتي أخبرتني باضطرابك حينما خرجت من غرفة الجلوس .. ألم تسألي نفسك كيف دخلت غرفتك دون أن أطرق الباب ؟

ـــ لقد فرحت لامتناعك عن فعل هذا .

وبدا هنا كوين وكأنه يفكر بأمر آخر .

بالمناسبة ، لماذا اتصلت بجهارا ؟ .. هل ظننت أن أختك وزوجها قد عادا من رحلتهما ؟ .

www.elromancia.com

وهزت بليس رأسها بالموافقة .

ـــ لم أستطع أن أبقيك خارج تفكيري لحظة .. لذلك عمدت الاتصال بهما ولشد ما دهشتني المفاجأة حينما ردَّت علي إيريث .

ـــ هل أخبرتها بأنك هنا في باراكاس ؟

ـــ كلا ، بل قلت انني قرب كوسكو .. وكان من المفروض أن أذهب إلى كوسكو غداً لا تقلقي ياحبيبتي الصغيرة الجميلة .. لاتقلقي ، سأعمل على إبلاغهما بأنك كنت تقيمين معي في بيتي حينما أراهما ...

ـــ هل ستذهب لرؤيتهما ؟

ـــ سوف يذهب كلانا غداً .

ونظر إليها ملياً ثانية وتلاقت العيون والشفاه بحرارة ثانية وثالثة .

ـــ إننا نريدهما أن يحضرا حفلة زفافنا .

ـــ زفافنا ؟؟ .. وقد كاد قلبها يطير في السماء .

ـــ طبعاً زواجنا .. لطالما كنت أتوق لأقول لك ذلك حينما أخبرتك عن زواج أخوي ، وبأن السعادة ستغمرني حقاً إن تزوجتك .

وتنهدت بليس وقبلته وهي تسمعه يقول :

ـــ ليس على والدك إلا أن يبتعد عن ابنته الثانية خلال هذه السنة .

وشعرت وكأن أنفاسها قد تلاشت ..

ـــ أظنك لن تدعني أنتظر لتدعوني عروستك أليس كذلك ؟

وأدركت حينها أنه لن يعمل على الانتظار طويلاً ، ومن ثم كان قلباهما ملتصقين ثانية لينعمان بدفء أنفاسهما .